الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الموسومة بـ:

الهجاء الاجتماعي في الأدب الأندلسي بين السخرية والاصلاح

إعداد الطالبتين:
- بن جلول حنـان
- بولنوار أم هـاني

إشراف الأستاذ:
- منقور صلاح الدين

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د.بن يمينة رشيد.....رئيسا
د.منقور صلاح الدين.....مشرفا ومقررا
أ.د.داوود أمحمد.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1440هـ / 1441هـ
2019م / 2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾
البقرة "237"

ويقول صلى الله عليه وسلم: " **من لا يشكر الناس لا يشكر الله** "
[رواه أحمد وأبو داوود].

الشكر لله عز وجل الذي وفقنا وسدد خطانا، وأنار بصيرتنا وعلمنا ما كنا نجهل، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

شكرا كثيرا وعرفانا كبيرا وثناء وتقديرا لمن كان الموجه والناصح الأستاذ الفاضل منقور صلاح الدين

نتوجه لك بجزيل الشكر والامتنان لك يا أستاذنا الفاضل لك كل التقدير على الجهد ومد يد العون لنا، والمساعدة التي قدمتها لنا من نصائح بناءة، والشكر لكل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل

إهداء

أهدي ثمرة الجهد المتواضع إلى المولى عز وجل الذي أنار لي درب العلم والمعرفة.

إلى كل أقلامي وكراريسي، ولوحتي السوداء وقطع الطباشير، التي كانت وسيلة لوصولي إلى الجبل الذي أنا متسلقة إياه والذي مزال عاليا، وشامخا، ولكن الأمل والطموح موجودين بفضل عمالقة مثلكم أيها الأساتذة الأفاضل ثم جميع من سعى في إرضاعي لبنة الحروف نطقا وكتابة من التحضيري، إلى الابتدائي مرورا بالمتوسط والثانوي، وصولا إلى الجامعة.

إلى كل هؤلاء خالص التقدير والمحبة، ولا طاقة لي بدفع الثمن لهم سوى الاعتراف والتقدير بالجميل لما قدموه لي من جزيل الخير والنفع.

ختاما اعذروني أن أخصص الجزء الأوفر من هذا الإهداء إلى سندي ورفيق دربي أبي الغالي والنور الذي أضاء لي الطريق أمي الحبيبة

أدامكم الله لي.

إهداء

أهدي تخرجي إلى تلك الإنسانة العظيمة التي لطالما تمنت أن تقر عينها برؤيتي في يوم كهذا ،إلى التي توسدها التراب قبل أيام من تحقق حلمها وأمنيتها ،إلى أمي الحبيبة رحمها الله أهدي تخرجي واجتهادي.

إلى أبي الذي سعى لنجاحي والذي سهر على تعليمي اهديه هذا العمل ، والى أخوتي الذين قاموا بمساندتي لإكمال هذا البحث.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله منزل الكتاب ومسير السحاب، وهازم الأحزاب، والصلاة والسلام على محمد سيد العرب والعجم، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع سبيله قدما بقدم. أما بعد:

اكتسبت الأندلس من خلال خصوصيتها الجغرافية والبيئية، والاجتماعية قيمة خاصة، فتبلورت للأندلسي شخصية مميزة.

فنرى أن الشعر الأندلسي كان تعبيرا عن الحياة في الأندلس، وجمال بيئتها، وكان الهجاء طبيعة في النفس البشرية، وهو مستمر في كل عصر وفي كل مكان مدام الناس يتفاوتون جمالا، وقبحا، وهو أثر من آثار الانتقام، والأخذ بالثأر في القرون الأولى في حياة الناس. وقد دخل التراشق بالسباب والشتم محل التراشق بالنبال.

وقد كان الهجاء في العصر الإسلامي وسيلة للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ازدهر هذا الفن بعودة العصبيات القبلية، وكثرة الأحزاب السياسي، وأخذ كل حزب يهجو الحزب المعادي له.

ومنه جاء عنوان مذكرتنا الهجاء الاجتماعي في الأدب الأندلسي بين السخرية والإصلاح، بحيث صغنا له إشكالية من أجل عرض ما جاء في محتوى المذكرة وكان كالآتي: ما هي أبرز الموضوعات التي تناولها الهجاء في الأدب الأندلسي؟ وهل بلغ الهجاء الاجتماعي منحى الإصلاح ما فسد في المجتمع؟ وقد اعتمدنا في بحثنا بحسب ما تقتضيه الدراسة على مقدمة، ومدخل كان فيه عرض لبيئات التي ساعدت في بروز غرض الهجاء.

أما الفصل الأول يندرج تحته مبحثين. فحاولنا في المبحث الاول تسليط الضوء على الهجاء الاجتماعي الساخر تعريفا به وبالسخرية لغة واصطلاحا وابراز عوامل ظهور هذا النوع من الهجاء والهدف والغاية منه.

أما المبحث الثاني اتخذنا بعض نماذج لمقطوعات مختلفة من قصائد متنوعة في الهجاء الاجتماعي الساخر وقمنا بتحليلها.

ثم فصلا ثانيا. فقد اندرج تحته مبحثين ، فقمنا بصياغة المبحث الأول بعنوان كان موسوما ب الهجاء الاجتماعي الإصلاحي عرجنا فيه إلى إرهاصاته وذكر أهم الظواهر التي أدت إلى ظهوره، ثم ذكرنا الغاية منه.

أما في المبحث الثاني فقد قمنا بدراسة بعض النماذج من شعر يحي بن الحكم الغزال وابن هانئ الأندلسي.

ولا يخلو أي بحث من مصادر ومراجع لتسهيل الدراسة والبحث كما اعتمدنا على كتاب الهجاء في الأدب الأندلسي للدكتور فوزي عيسى، وكتاب تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، للدكتور إحسان عباس.

ومن بين المعيقات التي صادفتنا في بحثنا هذا قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الهجاء الاجتماعي بين السخرية والإصلاح، بالدراسة والتحليل، فهذا العمل المتواضع لا يمثل سوى قطرة من بحر العلم، ولا يلم بكل جوانب الموضوع، وبكثير من المعلومات.

وفي الأخير نتقدم بالشكر للأستاذ الفاضل والمشرف على بحثنا دكتور منقور صلاح الدين على صبره، وتحمله مشاق هذا البحث فكان خير ناصح وموجه، كما نتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة هذا البحث.

مدخل

البيئة الأندلسية

البيئة الأندلسية:

تعد الفتوحات الإسلامية منحنى هاما في تغيير وجهة العالم ،وكل ذلك بأن الحروب السابقة سواء كانت لنشر دين أو توسيع رقعة الأرض ،كانت تقع على أنقاض الدولة السابقة إلّا الفتوحات الإسلامية فكانت تصقل الحضارة السابقة بما يناسب الدين الإسلامي، ومن هنا نجد تزاوج بين الحضارات مما يجعل للحضارة الإسلامية خصوصيات واستمراريتها عبر العصور. ومما يلاحظ في البيئة الأندلسية أنّها كانت تزخر بخليط من الأجناس والثقافات التي جعلت منها حاضر الدولة الإسلامية في شتّى الميادين ،كما ذهب إلى ذلك (أحمد هيكل) "فانبثق تاريخ حافل بالفكر والأدب فأضحت منارة وكوكبا لامعا في سماء غشيت بالظلمة وانطفاء بصيص الأمل فيما جاورها ،فمن الدول الأوروبية التي كانت تغوص في الجهل والأمية فأضحت الأندلس من وقتها تشع نور او علما في ما جاورها وتنتشل ممن غرق في التخلف"[1].

وقد قيل: (لقد سافر الشعر مع الشعراء لبلاد الأندلس)... مقول تبين انتقال مختلف العلوم إلى بلاد الأندلس مع الفاتحين لها...

[1]- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة احمد هيكل ص1 /16، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الحادية والعشرون

الحياة الإجتماعية:

إنّ الطابع الجغرافي للأندلس الذي يتمثل في الأنهار والمحيطات والجبال وغيرها من مظاهر الطبيعة ساهم بشكل كبير في ضخ الأموال وكثرت الخيرات التي ساعدت على الرقي وازدهار الحياة الاجتماعية في الأندلس دون أن ننسى طبيعة المجتمع الأندلسي المتعدد الأجناس والنحل والأصول المتعدد الأعراق التي شكلت نوعا من التمازج الإجتماعي المبني على المدنية والحضرنة وكذلك امتزاج الحضارة الإسلامية المشجعة على النظافة وطلب العلم والمعرفة بجميع صنوفها لوضع الروح:

وقد جاء في كتاب (نفح الطيب للمقري) "إنّ أهل الأندلس كانوا أشد خلقا لاعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفترشون وفيهم مالا يمتلك قوت يومه فيظل صائما ويبتاع صونا يغسل به ثيابه"[1]

إنّ أهل الأندلس أحرص الناس على جمال ورونقة شوارعهم حيث رصعوا الجدران والطرقات وأجروا المياه وسط الشوارع المضاءة والمنارات ليلا...

كما كان للمرأة دورا هاما ومكانة مرموقة فكانت علما من الأعلام يرجع إليها في الكتب والتراجم. فقد مارست وكان لبعضهن منتديات أمثال "ولادة بنت المستكفي بالله "التي شاع صيتها في المجتمع الأندلسي قاطبة وهذا ما اشار اليه (عمر أبراهيم توفيق) في كتابه حيث يقول: " وقد اشتهرت ولادة بالأناقة والتحرر والاختلاط بطبقات المجتمع وكان الانتشار الجواري وتحررهن وما يحملن من سمات جمالية للحرائر اثّر في هذه الانطلاقة الاجتماعية التي لمت كنسمة عند الاندلسيات جميعا فكانت فيهن المحافظات اتصفن بالخجل والحياء"[2]

[1]- نفح الطيب ج4 ص14 من غصن الأندلس الرطب للمقري الناشر دار الفكر/1629م –الطبعة 1

[2]- ينظر صور المجتمع الأندلسي سياسيا اجتماعيا ثقافيا، عمر إبراهيم توفيق ص 159/ دار غيداء الاردن، ط1 سنة 2011

الحياة الثقافية

قد كانت للثقافة الأموية الأثر الأكبر في بناء الصرح الثقافي الأندلسي، فكانت القاعدة والانطلاقة في نفس الوقت لملوك الطوائف لتجسيد عمليات الفعل الثقافي بالعلم، والمعرفة ليكون لبنات تضاف بعضها البعض لتكوين سرح جديد من الثقافة فكل الانجازات والابداعات التي حصلت في فترة الخلافة الاموية كانت هي تلك الاسس واللبنات في الثقافة الاندلسية كما بين ذلك (خير الله طلفاح) في كتابه" ومن ثم فإن ا لمكتسبات التي استقاها الأندلسيون من التراث الأموي. لم تنحصر في علوم دون اخر بل استطاعوا ان يطرقوا كل ابواب المعرفة والعلوم وان يحققوا في ذلك نشاطا علميا رائعا حيث شهد عصر الخلافة نهضة علمية في كل ميادين المعرفة"[1]ظهر ت بوادر جديدة على الشعر في الأندلس، منها التخلص من قيود القصيدة التقليدية وبلغ التجديد مبلغا كبيرا ، ومن رواده (ابن خفاجة وابن عبدون وغيرهما. كما ظهرت الوان جديدة في الادب كالموشحات والخمريات...الخ[1]

الحياة السياسية

"اسم الاندلس اطلقها لعرب على جميع البلدان الاسبانية التي فتحوها ، وكانت اسبانيا قبل الفتح العربي على اسوء حالة في السياسة والاجتماع"[2]

إنّ الوضع السياسي لبلاد الاندلس كان بمثابة مرجل تحركها لنيران. لاستقرار سياسي، ولا استمتاع اجتماعي نظر لما عرفته البلاد من اضطرابات بين العرب والبرابرة ، من جهة ومن جهة اخرى الشقاق والتنافس بين مختلف الولاة القادمين من الشرق، مدججين بالروح العصبية والقبلية "وبدا نزاعها ظاهرا بين القسية واليمنية"[3]

[1]- خير الله طلفاح حضارة العرب في الأندلس دار الحرية للطباعة د.ط.بغداد1977 ج6 ص146

[2]- ادباء العرب ادباء لعرب ج3 لبطرس بستاني /الطبعة1/ دار النشر: مارونعبودص6

[3]- في الأدب الأندلسي، جودت الركابي، دار المعارف ، القاهرة، ط2 ، 1966

فدبت بواعث التفكك والانقسام في المجتمع الأندلسي ، لما ابتليت من حكام ضعفاء لا يجرؤون على إنقاذ أنفسهم، ولا ممالكهم فتمزقت وحدتهم ، وانقسمت ربوعهم الى دويلات فانكبوا في الانفاق على حماية حصونهم وممتلكاتهم الخاصة "لم يقف شعراء الاندلس موقفا سلبيا ازاء هذه الاحداث انما ارتقت اصواتهم تندد بسياسة حكام الاندلس وتنتقد تصرفاتهم وتوصفهم بالخزي والمهانة"[1]

"الأندلس جزء مهم من التاريخ العربي ، و الإسلامي فقد كانت في زمن من الأزمان منبعا للثقافة والفنون، وكان للأدب نصيب من هذه الهالة الأندلسية، الباهرة بحيث كثر الشعراء في الأندلس كثرة مفرطة ، وظل الشعر حيا بل مزدهر في الأندلس حتى الأنفاس الأخيرة، وقد نظم الأندلسيون الشعر في الأغراض التقليدية المدح والغزل والهجاء والفخر"[2]

ونخص بالذكر "الهجاء" طبق الموضوع البحث "فقد ورد مفهوم الهجاء في قاموس المعجم الوسيط السب والشتم وتعداد المعايب وهو من يكثر معايب غيره ويسمى رجل الهجاء"[3]

"وورد في معجم لسان العرب لابن منظور هجاء، يهجو ، هجوا ، وهجاء ، و تهجاء، يتسم بالشعر وهو خلاف المدح"[4]

اما الهجاء اصطلاحا فهو غرض من أغراض الشعر، يتناول فيه الشاعر بالذم والتشهير بخصمه المعنوية ، والجسمية ، وهو نقيض المدح لان المدح يذكر الفضائل والهجاء يذكر الرذائل"[5]

ففي القصيدة الهجائية نجد نقائض الفضائل التي يتغنى بها المدح فالعذر ضد الوفاء، والبخل ضد الجود....وكذلك نجد الهجاء ضد المديح.

---

[1]- الهجاء الاندلسي. د.فوزي عيسى الطبعة 2008/1 دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر

[2]- ينظر الأدب الأندلسي محمد رضوان دايةص30، دار الفكر المعاصر، سنة 2009، ط3 مجلد1

[3]- ينظر معجم الوسيط، إبراهيم أنيس منتصر، معجم اللغة العربية، القاهرة، سنة 2004، ط5 2011 ص 26

[4]- ينظر مكي الطاهر أحمد أستاذ كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، دار المعارف سنة 1407، ص 74 ص18

[5]- ينظر دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة مكي الطاهر أحمد أستاذ كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، دار المعارف سنة 1407، ص 74

تمظهرات الهجاء بالأندلس:

الهجاء فن من الشعر يعمد إليه الشاعر ليشفي غليل في صدره، من شخص عادي أو رسمي أمن سياسة أو وضع اجتماعي، وما إلى ذلك... وقد وجد هذا الفن في الأندلس ، من جراء ما حملته تلك الحقبة الزمنية السابقة بدءا بالعصر الجاهلي مرورا بالعصر الأموي والعباسي وصولا للعصر الأندلسي.

وقد تعددت عوامل ظهور فلا نستطيع أن نحددها في ميدان معين وإنّما شملت مناحي الحياة المختلفة اليومية.

منها على سبيل الحصر:

-ما وقع بين مغيث من جهة وطارق بن زياد وموسى بن نصير من جهة أخرى من نزاع فعرض بهما نظر العدم الوفاء بالعهد معه.

- ظهور استفحال العصبية بين العرب، والبرابرة من جهة، والأمراء القادمون من الشرق.

- ظهور دعائم الدولة الجديدة "قرطبة"[1] على يد عبد الرحمن الداخل ، بعدما فك حبلا لتواصل مع العباسيين ليعلن العهد الجديد الموالي للخلافة الأموية الثانية بقرطبة .

- الشعر عندهم كان وسيلة تكسب واسترزاق جعلوا أحد ألوانه (الهجاء) مجالا للتكسب.

[1]- قرطبة مدينة من المدن الأندلسية التي قامت بها إمارة عبد الرحمن الداخل

دوافع الهجاء بالأندلس:

الإنسان زئبقي يعبر العصور بما فيها العصر الأندلسي.. يرتفع وينخفض حسب الموقف فهو يرضى حينا لرضى ويسخط حينا لسخط. تتولد حين الشر بالحقد والكراهية ،والضغينة والسخرية والاحتقار والتهجم والذم سواء للأفراد ، أو الجماعات أو البيئات التي لا توافق مزاجه في ستعمل سلاحها لفذ المسمى "الشعر الهجائي "ليوقع بالمهجو ليعريه ويؤذيه ، ويشهر به ويسخر منه ، ولذلك أسباب ودوافع تتمثل فيما يأتي:

1- مقومات الشاعر الخلقية (بفتح الخاء) والخلقية(بضم الخاء) الممزوجة بالاستعداد النفسي لها لتدفعه إلى إظهار عاطفة السخط، والهجو والنقد لأخلاقهم ، وتصرفاتهم وسلوكياتهم إما لكسب الشه رأوا لتميز أو اتقاء شرهم "السميسر في الأندلس"

2- المترلة الاجتماعية للشاعر مثلا كأن يكون منطبقة اجتماعية وضيعة (عبيد أو نخاس...الخ) مما يجعل البعض من مجتمعه ، لا يحفل ونبه أو نزول نكبات بالشاعر ، حيث يكون محطة للشماتة بين أهله أو حسد من أنفسهم ، نظر العلم هو غزارته مثلا (أبو محمد بن حزم الأندلسي) عندما جرى بعض مؤلفات هو عندما تطاول بعض الفقهاء عليه والتشنيع به.

3- إبراز التفوق على منافسه أو مساجلة شاعر لشاعر، حيث يأتي بما أتي من قوة اللفظ، والمعنى والصورة ليبرز تفوقه على منافسه) أبو بكر المخزومي الأعمى في الأندلس[1].

[1]- لهجاء في الأدب الأندلسي ، فوزي عيسى دار المعارف ، مصر، ط 1 ، سنة 2008 ص 155

الفصل الأول

الهجاء الاجتماعي الساخر

1- الهجاء لغة واصطلاحا

- لغـــــة:

"فقد ورد مفهوم الهجاء في قاموس المعجم الوسيط: السب وتعداد المعايب، وهو من يكثر معايب غيره ويسمى رجل هجاء"[1].

"وورد في معجم لسان العرب لابن منظور: هجاء، يهجوه، هجوا، وهجاء وتهجاء، أي تسميته بالشعر وهو خلاف المدح"[2].

ويقال هجا فلان فلانا: شتمه وسبّه وعابه، والمرأة تهجو زوجها أي تذمه وتشكو صحبته. وقال بعضهم الهجاء نزع الصفات الحميدة من المهجر ووصفه بأضدادها.

اصطلاحا:

"أما الهجاء بمعناه الاصطلاحي: فهو غرض من اغراض الشعر يتناول فيه الشاعر بالذم والتشهير خصمه المعنوية والجسمية، وهو نقيض المدح لان المدح يذكر الفضائل والهجاء يذكر الرذائل"[3].

"والهجاء أدب غنائي يصور عاطفة الغضب والاحتقار، وتعريف الهجاء بأنه أدب غنائي، وليس شعر غنائي دليل على انه شامل الشعر والنثر و لم يكن الهجاء عند العرب في اعتبار السب والفحش ، ولكنه سلب الخلق وسلب النفس. أو فصل المرء من مجموع الأخلاق"[4].

"وكثيرا ما نلاحظ أن الشاعر يتخطى هجاء خصمه لينال ايضا من قبيلة هذا الخصم، وقد كان الهجاء نزعا لتلك الصفات الحميدة، عند المهجو صفاته النفسية لا الجسدية".

---

[1]- ينظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ، إبراهيم أنيس منتصر، معجم اللغة العربية، القاهرة، سنة 2004، ط5 2011.

[2]- ينظر لسان العرب لابن منظور لابن منظور محمد بن مكرم بن علي جمال الدين، قسم المعاجم والقواميس، دار المعارف، ص26.

[3]- دراسات أندلسية في التاريخ والفلسفة أحمد مكي الطاهر أحمد أستاذ كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، دار المعارف سنة 1407، ص 100.

[4]- الشعر والشعراء، أبو محمد ابن قتيبه، دار المعارف، سنة 1982 ص 200.

ففي القصيدة الهجائية نجد نقائض الفضائل التي يتغنى بها المدح فالعذر ضد الوفاء والبخل ضد الجود.. وكذلك نجد الهجاء ضد المديح.

2- تعريف السخرية لغة واصطلاحا

-لغـــــة:

فالفعل منها سخر، واللغة الفصيحة سخر منه، وبها ورد القرآن الكريم وقال الفراء يقال سخرت منه ولا يقال سخرت به، وأجاز الأخفش كليهما، وقال النووي الأفصح الأشهر سخر منه، وإنما جاء يسخر له لتضمنه معنى هزئ[1]، وفي الكتاب العزيز: " وإذا رأوا آية يستسخرون"، قال الرماني: يدعو بعضهم بعضا إلى أن يسخر، وسخر واستسخر كعجب وتعجب واستعجب والاسم السخرية، قال تعالى: " إن تسخروا منّا فإنا نسخر منكم كما تسخرون " أي إن تستجهلوننا أي تحملونا على الجهل على سبيل الهزء فإنّا نستجهلكم كما تستجهلوننا، وإنّما فسّر بالاستهجال هربا من إطلاق الإستهزاء عليه تعالى" [2]

كما نستطيع القول ، ومن خلال الدلالة المعجمية لكلمة " سخرية " إنما تعني القهر والتذليل ، وإخضاع الآخر، فهي مرادفة للشعور بالأفضلية، والنّظر للآخر نظرة دونية وقد نهانا الإسلام عنها حيث وردت في عدّة مواضع من القرآن الكريم تحمل الدلالة نفسها نذكر قوله تعالى: **"وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ"**[3]، فكانت بذلك مرادفة لكل معاني الاستهزاء والاستخفاف حيث يركز الساخر على تبيان عيوب الآخر جسدية كانت أو نفسية أو مادية [4]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر.1 مكي الطاهر أحمد استاذ كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، دار المعارف سنة 1407، ص 509

[2]- ينظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، دار الناشر، مطبعة الكويت، ط 2 جزء الثالث ص 20

[3]- سورة هود أية 38 القرآن الكريم

[4]- مجلة سامية 2011 العدد 11،

عدا ذلك فقد بقيت السخرية مرتبطة بالمحادثات اليومية تحمل المعنى نفسه، وكونها مصدرا للانفعال والضحك جعلها تصنف ضمن أساليب الفكاهة كالهزل والطرفة. فالإنسان الذي لا يتوفر في شخصه جانب الإضحاك والخفة يوصّف بالثقل والعبوس، كذلك تدّل على سعة المستوى الثقافي للسّاخر الذي يعتمد وسائط متعددة بعيدة الدلالة موازنا بين العناصر اللسانية والوجدانية إلى حدود الالتباس[1].

ويمكننا القول، إن السخرية فن قائم بذاته، يختصّ في تأليفه بجماعة معينة من الناس، إن السخرية تصدر عن نفس مرحة متفائلة بالحياة وطبيعة لا تعرف الحقد واللؤم والمزاج يميل على الاعتدال، فيخلط الجدّ بالهزل[2].

"للضحك موضع، وله مقدار، فالناس لم يعيبوا الضحك إلاّ بقدر و لم يعيبوا المزح إلا بقدر"[3]

ويقول: **"نحن نعوذ بالله أن نجعل المزح في الجملة كالجدّ في الجملة بل تزعم المزاح خير من عامة المزح"**[4]

نقصد بهجاء السخرية والتنذر هذا الضرب من الهجاء الذي لا يصدر فيه الشاعر غالبا عن حقد أو سخط، وإنّما يعمد فيه إلى العبث بأحد الأشخاص وإظهاره في صورة هزلية على سبيل التنذر والدعاية والظرف، وهو لون من ألوان السلبية وإزجاء الفراغ، وإثبات القدرة على التصوير والإضحاك وهو بهذا المعنى نتاج الترف الحضاري.

---

[1]- مصطفى المعمري 2005: م 92، دار صوت عمان ن يومية سياسية جامعة، تأسست سنة1971 ، العدد 2005

[2]- النقد الإجتماعي الساخر إرواني زاده عبد الغني لاخا مجلة الأفاق الحضارة الإسلامية العدد 18 سنة، عنوان الكتاب:

[3]- السخرية في أدب الجاحظ لمؤلف: السيد عبدالحليم محمد حسين، دار النشر: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ج1 ص29 سنة النشر: 1397 هـ - 1988 م

[4]- نفس المرجع السابق 1955 ص 28

1- يعتمد هذا الهجاء على الطرفة أو النكتة أو الصورة المضحكة وقد شاع هذا الضرب من الهجاء في الأندلس، حتى لقد رأى الأستاذ غرسيه غومس، أن الهجاء الأندلسي أصبح آخر الأمر مجرد تصوير فكه لاذع[1].

وقد أعان على ذيوعه أسباب متعددة، يرجع بعضها إلى البيئة الأندلسية المتحضرة بما شاع فيها من لهو وفراغ وميل إلى الدعاية والتطرف، كما يرجع بعضها الآخر إلى طبيعة الأندلسيين أنفسهم الذين جبلوا على خفة الظّل وكلفوا بالمزاح، وقد أشار إلى ذلك المقري فقال: " ولأهل الأندلس دعاية وحلاوة في محاوراتهم وأجوبة بديهية مسكتة[2]

مفهوم الهجاء الاجتماعي الساخر

يعد الهجاء الاجتماعي الساخر واحد من اهم الموضوعات النقدية التي اشتهر بها الشعراء في بلاد الاندلس عن غيرهم من السخرية والفكاهة والتندر ، والاستعانة بروح الفكاهة بغرض التعبير عما يجول في بالهم ، حتى لو كان ذلك على حساب ذاتيتهم.

فنجد سخرية هؤلاء الشعراء قد صيغت أبياتهم لأشخاص يعرفونهم حق المعرفة ، وتم تصويرهم تصوير هجائي ساخر يليق بهم ، بالرغم من المبالغة في نعت اوصافهم والسخرية من اعمالهم ، لان الشاعر الاندلسي عندما يعمد على تصوير شخصية فانه يصورها تصوير دقيق ، اذ يبدأ بأسلوب خاص ليستهل حديثه، ومن ثم يعرج الى مهجوه ويبدأ بتعداد معايبه ومساوئه ، بألفاظ مشحونة بالسخرية والشتم والاستهزاء، وكل ذلك يجوز للشاعر الهجاء[3].

لأن قلبه امتلأ قيحا مما اد في المجتمع من مظاهر الفساد والهدف من كل هذا الهجاء الساخر هو ايجاد طريقة مثلى من اجل فك المجتمع من هذه الظواهر السلبية.

---

[1]- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين د.فوزي عيسى، دار اللواء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية ط 1، 2007، ص 50

[2]- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، للمقري ، ج2 ص: 61دار صادر

[3]- الهجاء في الأدب الأندلسي، فوزي عيسى دار المعارف ، مصر، ط 1، سنة 2008 ص 155

ويبنى الهجاء الاجتماعي الساخر على عنصر التخييل الذي يتمثل في رسم الشكل او الهيئة التي يتميز بها على اختلافها وكثرتها ، ويمكن تحقيق الهجاء الساخر من خلال رسم صور مضحكة بطابع هجائي لاذع، يجعل صاحبه عرضة للهزء والضحك[1].

3- عوامل ظهور الهجاء الساخر الاجتماعي

يصعب علينا ان نجد تاريخا دقيقا لظهور مصطلح السخرية للمجتمع الانساني. ومع ذلك يمكننا القول انها موجودة منذ الازل مذ ادرك الانسان ذاتيته وتميزه عن الاخر. وظهر مصطلح السخرية مع تشكل الجماعات البشرية وظهور مصطلحات القهر السياسي والتسلط*[2].

لذا لم ينقطع الشعراء الاندلسيون عن كتابة الشعر الهجائي بصورة عامة. ولكن الهجاء بوجهه الاجتماعي لم يكن رائجا في الاندلس نظرا لانشغالاتهم بأمور السياسة. كما ان الشعر الهجائي قد تحول الى مواجهة الاعداء وبقي متجها الى التكسب والتعذر، كما صنع ابن حزمون في هجاء نفسه عندما نظرا الى المرأة:

تأملت في المرآة وجهي فخلت كوجه عجوز قد اشارت اليه اللهو

اذ شئت تهجو تأمل خليقـــتي فـــان بها ما قد اردت من الهجو[3]

وقد كانت هناك اسباب اجتماعية الى نمو هذا الفن. وهي انه كان المجتمع بحاجة الى ضرب من اللهو كي يقطع الناس بها اوقات فراغهم: فحيث تنشأ المدن معها أوقات الفراغ.

كما نجد من بين العوامل مقومات الشاعر التي تدفعه الى اظهار عاطفة السخط. مردوده إلى نمو العقل العربي وميله الى الجدل والحوار والمناظرة في السياسة والعقيدة والقصة. ولا ننسى السخرية التي كانت تعد سلاح الشاعر للحصول على حقوقه المستلبة انتقاما لرد الاعتبار.

---

[1]- دراسات ادبية في الشعر الاندلسي ، انور سعد اسماعيل شلبي، دار النشر القاهرة، دار النهضة مصر، 1973، ط1 ص 150

[2]- تأثير الإعلام الساخر على شعوب الربيع العربي في أدب حبيب كيالي، نعسان اغا مجلة الفكر 11 يونيو 2007،

[3]- المعجب في تلخيص العرب، المراكشي محي الدين ابو محمد عبد الواحد ابن علي التميمي، تحقيق ليدن.ط.1881 ص 300

قد ذهب معظم الباحثون في الشعر الهجائي الأندلسي انه لا يوجد أثر في الاندلس ككل. وذلك كما بلغته الحضارة الاندلسية من رقي فكري وعفة نفس وظاهرة بدنه وثوب مما جعل السنتهم تعف عن المقالة البذيئة. إلا أن لكل حضارة كبوة أو انحطاط وذلك في عصر ملوك الطوائف حيث بدا هذا الفن بالتلميح لا التصريح. ثم انحنى منحنا خطيرا وذاك ما تلمسه في اشعارهم بعد ضعف الدولة الاندلسية.

ومن ابرز العوامل التي ادت الى هذا الفن هي العناصر الاربعة التي كانت تسود الاندلس :

أ- العرب اللذين كانوا يحسبون انفسهم أرستقراطيين لغلبتهم على الاسبان والبربر

ب- ثم البربر اللذين كانوا يشاركون العرب في البداوة والاسلام والعصبية القبلية.

ج- الاسبان وهم مسيحيون وكاثوليك يرون ان العرب والبربر دخلاء عليهم وانهم احق بملك البلاد

د- المسلمون المولدون من تزاوج العرب بالإسبان وكان لذلك سبب كبير وهو ان الجيش الفاتح كان من النازحين من الشرق وقد نشأ المولدون اللذين يمتازون بالجمال والشجاعة على حسب اختلاط الاجناس.

ومن هنا يظهر لنا جليا ان شعراء وكتاب وعلماء ذاك الزمان كانوا متحضرين على ما آلت اليه اخلاق الامة التي كانوا يعايشونها من نفاق وتسيب اخلاقي وشقاق.....الخ ووظفوا أقلامهم وقراطيسهم لتصويب وصقل الاخلاق. متجهين في ذلك الا هذا الفن التهكمي الهجائي الذي ينطوي على بلاغة فائقة وبيان معلم.

كما نجد من بين العوامل: العادات القبيحة والتقاليد السخيفة والتفاوتات في المجتمع التي ادت الى اكبار الاغنياء وتوليتهم الاهتمام. وان كانوا لا يستحقونها. والإعراض عن الفقراء والصدود عنهم ان كانوا أهل علم وتقوى. يظهر جليا في قصائدهم كما يقول ابن جزي الكلبي[1]:

أرى الناس يولون الغني كرامـــة وان لم يكـــن أهـــل لرفعة مقدارا

ويلوون عن وجه الفقير وجوههم وان كان أهلا ان يـــلاقي بـــاكبار

بنوا الدهر جاءتهم أحاديث جمّـــة فما صحّحوا إلاّحديث ابن دينارا[2]

كما نجد امام النحاة ابو حيان الغرناطي يهجو اهل عصره ويصفهم بالذئاب في الخبث والمراوغة والفسق والضلالة[3]:

حلبت الدهر اشطره زمـــانا واغناني العيـــان عن السؤال

فما ابصرت من خـــل وفـــي ولا الفيت مشكـــور الخلال

ذئاب في ثياب قـــد تبـــدت يرائيها باشكال الـــرجـــال

ومن يك يدعى منهم صلاحا فزنديق تغلغل في الضـــلال

ويجرون التيووس وراء رجس تقرمط* في العقيدة والمقال

كذلك من بين العوامل التي ادت الى شيوع هذا الفن نجد اثر البيئة المحتضرة. فمن المغالطات الشائعة ان الحياة الحضرية تعاف الهجاء وتمقته ولا تقوم له قائمة فيها .وهذا حسب ضن بعض المفكرين ومنهم الدكتور فوزي عيسى راي خاطئ فبالعكس ان التحضر يرقى بالعقول والاذواق.

---

[1]- الاحاطة في ذكر اخبار غرناطة، ا لسان الدين لابن الخطيب، لجلد الاول تحقيق محمد غبد الله عنان دار المعارف بمصر 1955 ص165

[2]- كتاب الهجاء الاجتماعي في الشعر العربي الاندلسي تاليف الدكتور نافع عبد الله كلية الادب جامعة بيرزيت ط1 ص 81

[3]- نفح الطيب من غن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن خطيب ، للمقري ج3 ص 324/323

*- الفعل تقرمط اعتقد راي القرامطة

حيث ان على قدر اهل البيئة يهجو الشاعر ان كان بدويا فنجد فيه غلظة وان كان ممن عاشوا في الخضر فيتناولون الهجاء والسخرية والتهكم بما يناسب الذوق المتحضر.

التكسب: كان يجعل الشاعر من الهجاء وسيلة او حرفة يرتزق منها. فنجد الشاعر محمد بن يحي القلفاط قد هجى وافحش في هجاء ابراهيم بن حجاج لأنه لم يجزل له العطاء فقال فيه:

ابغي نوال الاكرمين معاولات ابغي نوال البومة النكباء[1]

ان فن الهجاء بنوعيه مصقول بما اكتسبه الشاعر من مهارات ومقومات فنية تتعلق بالشاعر نفسه عبقرية الشاعر نفسه زاده العلمي بيئته التي ترعرع فيها تربيته التي محصت شخصيته والثقافة التي اكتسبها مما سبق مع القصد والنية التي تدفعه لهذا الفن مع مقدار صدق العاطفة وصحتها او عكس ذلك

4- الغاية من الهجاء الساخر

الهجاء لون من الوان الشعر، يعمد اليه الشاعر ليعبر عن سخطه واشمئزازه، سواء لشخص او بيئة. وهو عكس المدح، ولعل من اهم اهدافه هو الحاق العار بالآخر، كالاستهزاء منه والتقليل من مقامه وشانه. يلجا اليه الشاعر لإذكاء نار العصبية والنبش في احياء الماضي القديم. كما يلجا اليه للتسلية وملأ فراغه. لقول مغيث عندما دب النزاع بينه وبين طارق بن زياد وموسى بن نصير في شعره.

اعنتكم ولكن ما وفيتكـــــم فسوف اعيث في غرب وشرق[2]

ومن الفكاهة لملآ فراغه يعد هذا اللون "الهجاء الساخر" السلعة الرائجة في سوق الأدب الأندلسي، وقد اتسع مفهومه وتطوّر مع التطور الحضاري فارتقى من القبلية والشخصية إلى المجال السياسي والاجتماعي ،وتعددت مواضعه من "هجاء المدن –الزوجات- مظاهر حضارية...الخ.

[1]- كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس-محمد الكتاني الطبيب، تح احسان عباس ن دار الثقافة، بيروت لبنان، سنة 2011

[2]- الهجاء في الأدب الأندلسي. د.فوزي عيسى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط 1 2008

ومن بين بعض الأشعار لهجاء المدن نجد اتجاه قديم يرجع ظهوره إلى القرن الثاني الهجري. حيث وجد شعر في هجاء بغداد والبصرة وغيرهما، وما يقابله في المدح. ولا يخلو من ذلك الأدب الأندلسي من ذلك فنجد هجاء "إشبيليا-مرسيه والمريا ورندا وغيرهم. فمن ذلك قول: إبن عبد الله بن ياسين الشاطيبي يهجو مدينته:

شاطبة قريـــة ضنينـــة ليست لمن أمها معينة

تهضم الطيب اضـــاما وتأنف الدهر أن تعينه

الخبث المحض تصطفيه ضدا لما جاء بالمدينة[1]

كما نظم الشعراء مقطوعات في هجاء الخدم والعبيد كقول بن خفاجة:

قبحت من أسود غبي لا يفهم الوحي حين يوحي

أبطأ في سعيه فحاكى في حالته غراب نوح[2]

ونجد ابن سارة الشنترتيني يهجو زوجته ويرميها بالنفاق والخبث ويشبهها بالذئبة فيقول:

أمّا الزمان فرق لي من طلة كانت تطل دمي بسيف نفاقها

الذئبة الطلساء عند نفاقها والحية الرقشاء عند عناقها[3]

وعلى نهج ذلك كان فحول الشعراء يرسم بالكلمة مشهدا ساخرا كاريكاتوري ،فيه من التلميح ما يكفي عن التصريح، مع العلم قد كثرت ميادينه، على درب وخطى ابن الرومي يرسم لنا صورة "عبد الله بن كليب "لأنف الزهر

[1]- نفس المرجع السابق

[2]- ديوان ابن خفاجة، ابن خفاجة، تح عمر الفاروق الطباع،

[3]- الذخيرة في ذكر محاسن أهل الجزيرة ابن بسام الشنترتيني، تحقيق احسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت 1 /2/ص/144

وفي موقف آخر يلتقط "ابن سارة "صفة اتساع فم لأحد الأشخاص وقبح ثنياه، فيسخر منه سخرية لاذعة لا تخلو من إقناع فيقول:

أمّا ثنايا فإنّي لســـت متـــثنيّا عن الثنـــاء عليهـــا آخر الأيدي

يبدو لصرفك منهـــا تبصرها سنّ كمثل سنّ الصيقل الفردي

له فم كحر في شكل صورته ترمى غواربه العبريـــن بالزبد[1]

رغم النكبات التي ألمت بالعصور الأندلسية، التي كان فيها الانحدار والتدهور أكثر شيوعا من التطور والازدهار ، إلّا أنّ المجال التعبيري لهذا اللون لم يطمس "الهجاء الساخر"، بل كانت رسائله تفي بالغرض لأنّ هذا الفن الهزلي كانت أهدافه إمّا الإصلاح وإمّا السخرية أو الانتقام، ويعتبر ما حفظه لنا تاريخ الأدب الأندلسي في الهجاء وما تغنى به الأندلسيون، وحكاه لنا الحاكون نجده ثروة فنية ذات دلالات متنوعة لأنّ الأدب الهزلي استطاع أصحابه أن يخلدوا صفحات محكية ومكتوبة استطاع "ابن قزمان"(برز في نظم الطريقة الهزلية بلسان عوام الأندلسي) [2]

وكذلك "محمد بن براهيم بن علي الأموي" كان يرسل النادرة وكذا السباق في الأدب الهزلي المستعمل في الأندلس[3]

وإذا أردنا أن نذكر أهم خصائص الطبع التي ترتبط بالغرور، فأظهرها الاستهزاء والسخرية اللتان تجسمان روح التشفي والانتقام ،فضلا من اتجاهات من صنع المجتمع الأندلسي وخصائصه[4].

جلس بعض الطلبة يوما ما بين يدي "المنصور الذهبي" فأنشد هذين البيتين:

---

[1]- الذخيرة//3/2/ص 845 في محاسن أهل الجزيرة لإبن بسام الشنتنيري تحقيق د.إحسان عباس دار الثقافة بيروت 1979

[2]- ينظر الذخيرة/2/2/ص: 706-709 في محاسن أهل الجزيرة لإبن بسام الشنتنيري تحقيق د.إحسان عباس دار الثقافة بيروت 1979

[3]- الإحاطة 2/ص: 494 في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب تحقيق محمد عبدالله عنان مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى القاهرة 1977

[4]- ينظر الفكاهة الأندلسية حسن خريوش دراسات نقديو تطبيقية منشورات جامعة اليرموك مطابع الدستور عمان الأردن ص: 39

زماننا كأهلـــــــه وأهله كمـــا ترى

وسيرهم كسيـــــره وسيره إلى ورى[1]

استهزأ الطالب باختلال موازنة في ذم الزمان وقد أعجب المنصور بهذا الإنشاد.

يعتبر شعر الهجاء حالة وجدانية تلازم الإنسان ومنها الأندلسي لفن السخرية والهجاء إرتباطا وثيقا بالنفس البشرية وكان أسرع الأغراض إستجابة نظرا لتعدد موضوعاته.

ظاهرة السخرية لون من ألوان البيان التي تطبّع الأدب بطبيعتها الفكاهية المرحة أحيانا وقد تكون سيفا ضربته موجعة في جانبه الآخر ،كونه وسيلة علاج من ناحية التقويم، أو مقاومة لرد الإعتبار، لا يكاد هذا النوع من الأدب يخلو من حياة الأمم في الماضي أو الحاضر، وقد جبل العامة والشعراء خاصة من ذوي هذه النزعة(السخرية).

(...تقف السخرية على رأس الأساليب الفنية الصعبة، إذ أنّها تتطلب التلاعب بمقاييس الأشياء تضخيما أو تصغيرا، تطويلا أو تقزيما. وهذا التلاعب يتم ضمن معيارية فنية هي تقديم النقد اللاذع في جو الفكاهة والإمتاع.....) [2]

عرفت ظاهرت السخرية ألوان وأشكال كالفكاهة والدعابة والتعريض والرد بالمثل ومن العوامل الي ساعدت على شيوعها في الأدب الأندلسي طبيعة البيئة الخلابة التي زرعت روح الإنشراح بين سكانها

(لقد عرف السلف من كتابنا أشكالا عديدة للكتابة الساخرة في موروثنا الأدبي، على نحو ما نجده في "كليلة ودمنه والبخلاء والمقامات والنوادر وغيرها وأخبار الحمقى والمغفلين وأخبار الظرفاء

[1]- ينظر الفكاهة الأندلسية حسن خريوش دراسات نقديو تطبيقية منشورات جامعة اليرموك مطابع الدستور عمان الأردن ص: 39

[2]- ينطر كتاب الهجاء في الأدب الأندلسي د.فوزي عيسى الطبعة الأولى 2008 دار الوفاء دنيا الطباعة والنشر

وغيرهم من الأشكال النثرية" إنّ في السخرية قديما وحديثا قدرا كبيرا من الغمز واللمز والهمز، من هنا كانت الفكاهة في السخرية وسيلة لا غاية في ذاتها) [1]

5-تحليل بعض مقاطع من قصيدة في الهجاء الإجتماعي الساخر وشرحه:

النموذج الأول:

الشاعر عبدالله بن شمر*

1-يخامر لا تنفـــــك تــأتي بفضحة دعوت إبن متى والمسيح بن مريما

2-فثوب فينا ثم نــاداك صــائــح فإنّهمــا مــا على الأرض يعلمها

3-قفاك قفا جحش ووجهك مظلم وعقلك ما يسوى من البعر درهما

4-فلا عشت مودودا ولا رحت سالما لا مت مفقودا ولا مت مسلما[2]

المناسبة:

تتجسد صورة السخرية في تصرف القاضي حينما نادى على يونس بن متى والمسيح بن مريم وتتضاعف السخرية بقول" بن الشمر" إنّ نزولهما من أشراط الساعة مثلما عبر عنه في أبياته الشعرية التي تفيض تهكما وسخرية لهذا القاضي المغفل[3]

[1]- نفس المرجع السابق

*- عبدالله بن شمر هو نديم بن عبدالرحمن بن الحكم

[2]المقتبس من أنباء الأندلس ، إبن حيان-حقيق محمد علي مكي دار الكتاب العربي بيروت ط.1973 مج 1 ص: 65-66

[3]- ادب السخرية في الأدب الأندلسي. د.قردان الميلود –المركز الجامعي تيبازة ص: 129

الشاهـــــد:

البيت الثالث:

"قفاك قفا جحش ووجهك مظلم وعقلك ما يسوى من البعر درهما"

حيث شبّه "قفا "القاضي ب"قفا" الجحش

شـــرح الأبيات:

يخاطب الشاعر "يخامربن عثمان" قائلا أنّك لا تخرج من فضيحة حتى تدخل في أخرى وأكبرها أنّك دعوت النبيين إذ ظهر أحدهما المسيح فذلك يوم التنادي ثمّ هجاه في نفس الأبيات بأنّه شبّهه بجحش وجهه مظلم ولا عقل له ثمّ دعا عليه بالعيش المنبوذ وعدم السلام والموت المعلوم على غير ملة الإسلام

العيـــــــوب:

تتجسد في السخرية من تصرف القاضي المغفل ، حيث نادى على "يونس بن متى والمسيح بن مريم" وذلك بأنّ نزولهما من أشراط الساعة مثل ما عبر الشاعر في أبياته التي يسخر فيها من القاضي وتصرفاته لا سيما البيت الثالث

النموذج الثاني

الشاعر أبو بكر محمد(المشهور بالأبيض) يسخر من الزبير الملثم

1-عكـــف الزبير على الضلالة جاهدا ووزيره المشهود كلب النار

2-مازال يأخـــذ سجـــــدة في ســـدة بين الكؤوس ونغمة الأوتار

3-فإذا اعتـــــراه السهـــو سبّح خلفـــه صوت القيان ورنّة المزمار[1]

[1]- ينظر كتاب: المغرب في حلى المغرب. ابن سعيد المغربي. دار المعارف، ط 4، مصر ج2 ص: 127-128

المناسبة:

زيارة الشاعر أمير قرطبة في قصره ملتمسا منه عطية أو هدية وكان يحسب لهذا اللقاء حسابا تصور له أنّه أمير ورع يجزّي العطايا فإذا به لم يعر له اهتمام وقد منح القيان والنادل ما لم يكن في الحسبان وهمّشه و لم يعطه شيء فاشتد غضبا وهجاه بهذه الأبيات السابقة

الشاهد:

البيت الثاني:

"2-مازال يأخذ سجدة في سدة بين الكؤوس ونغمة الأوتار"

الشرح:

يصف الشاعر الأمير الزبير ووزيره أنّهما على الضلالة وهذا يجسد التهكم والسخرية التي نبع فيها الأندلسيون بتصوير العيوب والمشاكل التي يريدون معالجتها فنجده في "البيت الثاني" يصفه بطول السجود على منصة ليس تعبدا ولا تضرعا ولا خشوعا، إنّما بين القانيات ونغمات الأوتار ورشفات الكؤوس، ويزيده تهكما وسخرية في" البيت الثالث" حيث يرميه ويصفه بالسجود والتسبيح له من خلف. فلا السجود لصلاة ولا سهو لفريضة ولا التسبيح للتذكير إنّما كل ذلك لنشوة الخمور ورنّة المزامير

العيوب:

نجد الشاعر يبرز العيوب معظما لها في أسلوب ساخر، والتي تتجسد في عكوف صاحب قرطبة ووزيره على الملذات ،جاهدا في ستر نفسه حتى لا يعلم به العامة، إلّا أنّ الشاعر شهّر به وكشف عنه النقاب، فجعله سخرية لكل من قرأ القصيدة ووقف على ما فيها.

النموذج الثالث

يحي السرقسطي

تركت الشعر من ضعف الإصابة وعدت إلى الدناءة والقصابة

تعيب على مألوف القصابـــة ومن لم يدر قدر الشيء عابه

ولو أحكمت منها بعض فن لما استبـــدلت منـــه بالحجاب

أمّا ولو اطلعت عليّ يوما وحولي من بني كلب عصابة

فتكنا من بني العتزي فتكا أقرّ فيهم الذعر فيهم والمهابة

ولم نقلع عن الثوري حتى مزجنا بالدم القان لعابـــه[1]

المناسبة:

يحى السرقسطي المعروف بالجزّار، كان أديبا مدح ملوك "بني هود "ووزرائهم ‘ثمّ ترك الأدب والشعر وعكف على القصابة‘ فأمر الحاجب بن هود الوزير" أبا الفضل بن حسداي" أن يوبخ" يحي" على رجوعه إلى الجزّارة وهجره للأدب والشعر[2]

الشرح:

نجد انّ المتقارعين رشقا بعضهما البعض، حيث بدأ الأول بالتهكم من "يحي" مدعيّا عليه لضعف الإصابة وعدم معرفة أساليب الشعر، فهرب وترك الشعر وعاد إلى ما هو أدنى منه وهي ‘جزارة "القصابة". فرد عليه "يحي السرقسطي" بأسلوب مليح تهكمي ساخر، يميل إلى الفكاهة حيث يقول له تعيب علينا صنعتنا ألفتها وهذا شأن من لم يقدر الأشياء ومن لا يعرف معناها. ولو أنّك عرفت معناها وأحكمت فنونها لما استبدلت منها بالحجابة. ويصور نفسه وهو بين عصابة من الكلاب يفتك

[1]- كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة د.إبن بسام تحقيق - د.إحسان عباس الطبعة 1.دار الثقافة بيروت. القسم 3 مج2 ص: 905-906

[2]- ينظر الفكاهة الأندلسية دراسة تطبيقية نقدية، حسين خريوش، منشورات جامعة اليرموك، ص 98

بالمعز ذاعرا إيّاها تاركا المهابه عليها، حتى الثيران لم تسلم منه إلى أن يمزج دمها بلعاب كلابه. استطاع الشاعر أن يجعل من القصابة والتي هي لا تعدو أن تكون حرفة من الحرف ، يستطيع أيّ إنسان امتهانها فنّا رائعا ذا حكمة وأصول، حاطا من وظيفة معيبه (خصمه) وهي الحجابة ،

مع أن الحاجب أرفع درجة من القصابة[1].

الشاهد:

البيت الأول:

"تركت الشعر من ضعف الإصابة وعدت إلى الدناءة والقصابة"

العيوب:

نجد الشاعر قد أسهب في ذكر مثالب خصمه ،وحط من شأن مهنته ،ورغم ما لها من منزلة رفيعة بين العامة فأعاب بأسلوب وصفيّ كأنّه يقول أنّني بصنعتي أفعل ما أشاء، تركا ورائي ذعرا ومهابة، وأنت يا معيبي ذليلا بعملك بالحجابة أمام أبواب الملوك.

[1]- كتاب أدب السخرية في الأدب الأندلسي. د.قردان الميلود. المركز الجامعي تيبازة. ص: 128

الفصل الثاني

الهجاء الاجتماعي الاصلاحي

الهجاء الاجتماعي الاصلاحي في الاندلس:

يعد الأدب الاندلسي من بين أرقى الآداب، من حيث تنوع اغراضه وتعدد مواطنه ، فهو مادة متشعبة المناحي، فلا نكاد نلمح أي فرد من أفراد المجتمع الأندلسي الا وكان ملما بالأدب الأندلسي، بحيث اتخذوا من الأدب وسيلة للتعبير عما يجول في خاطرهم والقضايا التي تشغلهم، فمنهم من لجأ إلى النثر واغلبهم اتخذوا من الشعر الوسيلة التي تنقذ حالهم مما هم فيه.

ونخص بالذكر الشعر الأندلسي الذي اختلفت أغراضه الا انه حافظ على غايته، والتي هي مسايرة المجتمع، فلكل غرض غاية محددة كذلك للهجاء غاية سامية بالرغم من اختلاف اتجاهاته، ومن ابرز اتجاهات الشعر الهجاء الاجتماعي الإصلاحي[1].

"الهجاء الاجتماعي الاصلاحي هو قيام الشاعر بالتعبير عن مستجدات بيئته بطريقة ساخرة بحيث يكون لها بعد اجتماعي اصلاحي بمعنى غايته احداث تغيير ايجابي على عكس ما هو سلبي.

وقد اتخذ بعض من الشعراء من هذا الغرض كوسيلة ناجعة للنيل من خصومهم، والبعض الاخر اتخذه وسيلة للتكسب والبعض الاخر كان ينبذ بعض الآفات التي سادت في المجتمع الاندلسي كالمجون والبخل والسرقة. ونذكر بعض الشعراء الذين برعوا في هذا الغرض ابن زيدون وابن شهيد الذي بكى الأندلس جراء ما آلت إليه من الانحراف بسبب كثرة الترف والمجون ، وقد الف ابن حزمون رسالة بعنوان مراتب العلوم التي دعا فيها انتهاج افضل العلوم التي تكون نجاة لصاحبه وفوزه بالآخرة، وقد استند ابن حزم في حكمه هادا الى المعيار الديني"[2]

[1]- ينظر تلخيص من كتاب الاحاطة في أخبار اهل غرناطة 'لان الدين ابن الخطيب. تح محمد عبد الله عنان، مكتبة خانجي القاهرة

[2]-الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، احمد هيكل ص 120، ط1 دار المعارف، القاهرة

ونقصد بالهجاء الاجتماعي الاصلاحي هو ذلك الشعر الذي يصدر فيه الشاعر عن عصبيته للدين او الوطن او فرد من افراد المجتمع فيهجوهم بطريقة ساخرة لكان وراء سخريته غاية اخرى.

وقد نجد بعض المقطوعات قد نظمن بأسلوب بسيط يسهل على سامعه فهمه، فيكون وقعها على مسامعهم لها اثر بالغ واشد على اذن السامع ، فكانت هذه الاشعار تمتاز بالدقة وعبقرية الحس اللفظي وينقل واقع المجتمع دون تكلف ولا مبالغة، وقد لاقت قصائد الهجاء قبولا شاسع ولذلك لشدة القوة والمعروف ان الناس تنجذب لما يكشف عن عيوب غيرهم على عكس ما يثير اعجابهم وقد ذاع صيتها ولاقت انتشار لدى اهل الاندلس[1]

ومن ابرز الصفات التي راح معظم الشعراء الاندلس يذمونها ويسعوا الى ازالتها صفة البخل التي كانت سبب في انتشار البخل والحرمان وكان الشعراء اكثر ناس متضررين من هذا الحرمان فبرعوا في نظم قصائد تشكوا حالهم وتنادي بتغييرها وهو ما عبر عنه يحي بن الغزال اذ يصور حاله ويشكو من البخل:

قصدت بمدحي جاهدا نحو خالد أؤمل من جدواه فوق منائي

فلم يعطني من ماله غبر درهم تكلفه بعد انقطاع رجـــائي[2]

كما كانت صفة البخل شائعة بين اهل الاندلس ومن كثرة البخل نجد ان اجسامهم كانت هزيلة ونحيلة.

وعليه فان شعراء الهجاء الاجتماعي الاصلاحي قد سخروا اقلامهم في سبيل بيان مواطن الفساد وهو نف الاتجاه الذي ساروا عليه لأنه يصبوا نحو ما ترضي انفسهم فضلا على كونه الثأر السلمي الذي يملكونه.

[1]- تلخيص من كتاب أدب الفكاهة الأندلسي، حسين خر يوش، منشورات جامعة اليرموك ص 85مطابع الدستور التجارية، عمان الأردن

[2]- ديوان يحي بن حكم الغزال مقطع من قصيدة قصدت بمدحي جاهدا

ومما يلاحظ ان الهجاء بشقيه الساخر والاصلاحي كان معروفا، ومستمر الحدوث والاستعمال في كل عصر من الجاهلي حتى الاندلسي، فهو يحدث نتيجة التفاوت بين طبقات المجتمع سواء اكان غني او فقير، قبيح او جميل، فهو اشبه بالحرب يختلف عن الحرب كونها تستخدم سلاح مادي اما الهجاء فسلاحه الذم والسباب وابراز عورات الناس وعيوبها، فهو غرض من اغراض الشعر يقوم على تقبيح صورة الفرد بصورة ساخرة مثيرة للضحك او عادة من العادات المعروفة في المجتمع، وفي العصر الاندلسي ازدهر فن الهجاء وشاع بجميع انواعه كالهجاء الفردي والجماعي والخلقي والعفيف والسياسي والاجتماعي بشكل خاص[1].

وقد وقف الشعراء برسم المعالم وسخروا حناجرهم واقلامهم وهذا جراء صراع على السلطة وانتشار الفساد، وسوء الاخلاق، وبعض الرذائل بين الناس مثل: الرشوة، السرقة، الخيانة، الاعتداء على حقوق الاخرين فقد رفعوا صوتهم منددين الحكام بمعاقبة المفسدين واصلاح الاوضاع في المجتمع، فقد كان الهجاء الاجتماعي الاصلاحي سلاح الكثير من الشعراء في مقاومة الظلم والجور، فقد كانوا يصورون فقرهم وضيق حالهم.

ولهذا فقد قام شعراء الشعر الاندلسي بقفزة نوعية من حيث ابتكارهم لهذا الغرض الذي ساهم في الاصلاح المجتمع الاندلسي والنهوض به عاليا، مستنفرين لكل الآفات التي سادت آنذاك والتي كان لها اثر سلبي في رسم صورة المجتمع الاندلسي في نظر الاخرين ولكن بفضل هذا الغرض فقد ساهم ولو بالقليل في الحد من انتشارها[2]

[1]- ينظر أدب الفكاهة الأندلسي دراسة نقدية تطبيقية ، حسين خريوش، منشورات جامعة اليرموك ، ص93، مطابع الدستور التجارية، عمان الأردن

[2]- ينظر الشعر الاندلس بحث في تطوره وخصائصه ، إيميليو جارثيا جوميث، تمت ترجمته من طرف حسن مؤنس ، ص75، دار الرشاد للنشر والتوزيع ط1 القاهرة 1952

رصد بعض الظواهر الاجتماعية ومعالجتها

يعد المجتمع الاندلسي من بين المجتمعات التي شهدت تطور وترف فالفنون، ومختلف الآداب الا ان هذا الترف قد عاد بسلبياته مقابل ايجابياته فانعكست على عادات المجتمع الاندلسي وتصرفاته، وقد حاولنا بعض هذه الظواهر التي سيطرت على المجتمع الاندلسي:

أ- ظاهرة الاعتداء على النفس والقتل

شهد المجتمع الاندلسي العديد من عمليات الاعتداء، وهذا نتيجة لانعدام الامن فغدت ظاهرة القتل امر عادي ، وهذا بسبب الحروب التي وتولدت عنها اخلاق مغايرة للعقيدة الاسلامية.

وكل هذا من ترف الحكام اللامبالين والذين اباحوا القتل وفك الدماء فقد وصف ابن حيان زاوي بن زيري بأنه....."كان في الظلم والجور والاستحلال للمحارم والقسوة اية من آيات الله."[1]

واكثر ما يلفت النظر ان هذه الحوادث قد شهدت تكرارا اما عن طريق الخطأ او بشكل عمدي والسبب راجع اما عن طريق الخلافات الاسرية او مسألة اخلاقية ن دون ان نغفل عن العنصر المادي الذي يعد ابرزها واقربها الى الواقع، وكذلك من الملاحظ ان عملية القتل كانت غالبا ما تحدث مع عملية السرقة، التي كانت منتشرة داخل المجتمع الاندلسي بشكل كبير اذ يذكر المقري انه غالبا ما يسمع " دار فلان دخلت البارحة ، وفلان ذبحه اللصوص في فراشه "[2]..

ب/ظاهرة الغش

يعد سلوك من سلوكات المنحرفة التي سادت في مختلف العصور وكان العصر الاندلسي من ضمنها اذ انتشرت هذه الظاهرة داخل المجتمع، ولا سيما الغش في عملية البيع، فقد كان البائع يتستر على ويسعى إلى إخفاء عيوب اللغة وادعاء برائتها، وقد حاول البعض منهم الى خلط بين جيدها

[1]- ينظر حميد حداد، السلطة والعنف في الغرب الاسلامي، النايا للدراسات والنشر، دمشق 2011 ص 211

[2]- ينظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب في ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ج1 ص210

وسيئها، ناهيك عن التطفيف في المكاييل وهو مخالف في الشريعة الاسلامية وقد نهى الله عن هذه السلوكات في قوله **عزو وجل: (واحل الله البيع وحرم الربا** [1]**سورة البقرة الآية 275 وقوله تعالى: (ويل للمطففين)** [2]

وعلى الرغم من تشدد الاجراءات الخاصة بمظاهر الغش، غير ان هذا اللوك كان سائدا في الاندلس بسبب ضعف النفوس، والرقابة والذين عمدوا احيان الى اخذ الرشوة للتغطية عليه من اذ عمدوا أحيانا إلى تغطية السلعة الفاسدة وتزيينها بغرض الربح فيها وخداع الناس بمظهرها الجذاب [3]

نعتقد ان انتهاج التجار لهذا السلوك هو خضوعهم لظروف السوق عامة والتي دفعتهم للتخلي من السلع خوفا من كسادها، وكذلك للمحافظة على مكتسباتهم المالية[4].

ج/ظاهرة المباهاة

وظهرت هذه ظاهرة بين الناس وعرفت بالمفاخرة ومن بين أمثلة ذلك تباهي الأغنياء على الفقراء فشيدوا بناء القبور لموتاهم على عكس الفقراء حيث كانت قبورهم عادية وبحيث نهى الاسلام عن بناء القبور الا انه سعوا في ذلك، فلو فهموا ذلك لوجدوا ان الناس سواسية في القبور لا فرق بين الغني والفقير وذكر يحي بن الغزال بعض من هده الظاهرة في شعره فقال:

ارى اهل اليسار اذا توفوا بنوا تلك المقابر بالخور

فان يكن التفاضل ذراها فان العدل في القعور [5]

[1]- سورة المطففين الاية 1

[2]- [2]سورة البقرة الاية 275

[3]- الادب الساخر انواعه وتطوره مدى العصور، شمسي وافق زاده، فصلية دراسات ادبية معاصرة، مجلة الافاق الحضارية ، العدد الثامن عشر

[4]- بنية المشهد الحكائي في شعر يحي بن الغزال ص 66، د اسامة اختيار، مجلة جامعة دمشق

[5]- ينظر ديوان يحي بن حكم الغزال مقطع من قصيدة أرى أهل اليسار

ظاهرة زواج الفتاة البكر بالشيخ الكبير

وشهد المجتمع الاندلسي هذه الظاهرة التي غدت سارية بينهم فنلاحظ فتاة صغيرة يتم تزويجها بشيخ كبير بعمر ابيها واكثر وهذا راجع اما للظروف المعيشية او بسبب خلاف بينهم، وقد راح الشاعر يحي غزال يصف هذه الظاهرة متهكما وساخرا بحيث يقول:

وخيرها ابوها بين شيـــخ كبير كثيـــر المال او حدث فقير

فقالت خطتا خسفا ومـــا ان ارى من خطوة للمستخير

لان المرء بعد الفقـــر يثـــرى وهـــذا لا يعود الى صغير *

هذه الظاهرة انتشرت داخل المجتمع بذلك قد حقق بعض الافراد مصالحهم دون النظر الى تلك الفتاة التي حرمت من طفولتها[1]

ظاهرة السحر والشعوذة

وقد سادت في هذا العصر ظاهرة السحر والشعوذة التي انتشرت بينهم وقد كان غالبية بعضهم يستخدمونه بغرض النيل من خصومهم، وقد مثلت هذه الظاهرة انحرافا داخل المجتمع، فقد ادخلت في نفوسهم الشرك بالله وخروج عن ملة الاسلام، فقد ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية في انتشار هذه الظاهرة وجعلت الناس ضعاف الشخصية يسيرون ويقبلون عليها، وقد اعتمدها البعض كوسيلة للهروب من الواقع، في محاولة لهم لتذليل الصعوبات، وتخطي المشاكل[2]

ارتبط الكهانة مع العرافة بعلم التنجيم والتداخل بينهما، ولا سيما من ناحية قراءة المستقبل عبر الاجرام السماوية والكواكب على وعسى يساعدهم في معرفة طالع المستقبل وهي هذا يذكر ابن خلدون هذه الظاهرة فيقول:

[1]- ينظر في الأدب الأندلسي ، محمد رضوان الداية ص 76، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان سنة 2000

[2]- ينظر في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية ص88، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان سنة 2000

*ديوان يحي بن حكم الغزال

(ان الكهان يستعينون غالب الامر بالتنجيم) وقد ذكر الشاعر هذه الظاهرة فنظم فيها هجاءا فقال:

مـــا قـــدر الله هـــو الغالـــب وليس الذي يحسبه الحاسب

قل لابن عزراء السخيف الحجي ازرى عليك كوكب ثاقـــب

فهاجس الحرب والصراعات جعل البعض يعمد الى التنجيم.

كذلك عمدوا إلى السحر والسحرة والتي لجا إليها صغير وكبير سواء أكانت حالته سياسية مرتفعة وأو اقتصاديا أو في قضية اجتماعية، دون ان يراعوا العواقب الوخيمة التي قد تسفر عنها[1].

ظاهرة معاقرة الخمور

لا يخفى على اي احد ان في مجتمع الاندلسي قد عرف رواجا كبيرا لظاهرة الخمر والتي لا يخلو اي مجلس منه، على الرغم من اعتباره من المحرمات ومذهبات العقل الا انهم قد تجاوزوا ذلك دون مراعاة العقيدة، والذي اعتبروه كوسيلة للهو ووسيلة لنسيان الواقع، فشرب الخمر في اشبيلية كان يتم جهارا دون مراعاة الرقيب.

ولم يقتصر شرب الخمر على الطبقة الارستقراطية فقط بل شمل أيضا الرعية فالأسباب التي دفعت بالعامة الى معاقرة الخمر تبقى مجهولة ونرجح الكفة فلا نستبعد ان تكون بسبب تلافي الصعوبات والمشاكل اليومية وهذا ما نلمحه في شعر ابي الاصبغ البطليوسي في شعره اذ يقول:

جرت مني الخمر مجرى دمـــي فجل حياتي من سكرها

ومهما دجت ظلمات الهموم فتمزيقها بسنا بدرها[2]

[1]- ينظر مقدمة، ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد درويش ، دار يعرب ، ط1، دمشق ص 293

[2]- الشاعر عبد العزيز البطليوسي كان طبيبا مستهترا بالخمر كان يقول انا اولى الناس بألا يترك الخمر

فالمقبل على شرب الخمر اما يكون لظرف نفسي من قبيل التشرد والمعاناة وتغير الحال من نعيم الى بؤس شديد فقد روي عن احد كان شديد الادمان على الخمر عن سبب معاقرته قال لهم: "فساد الزمان، ومجافاة الاخوان"[1]

من خلال ما عرضنا نستنتج ان معاقرة الخمور، عرفت تفشيا ملحوظا داخل المجتمع الاندلسي، وعلى الرغم من الاجراءات المتخذة من قبل السلطة، الا انها قد باءت بالفشل بغرض الحد من انتشار هذه الظاهرة داخل المجتمع والتي سببت انحرافا لشبانها. "[1]

ظاهرة الزنا

بالإضافة إلى ما ذكرنا من الآفات الاجتماعية كان لظاهرة الزنا نصيب مما راج داخل المجتمع الاندلسي ، فقد عرفت بعض المدن الاندلسية انتشارا لبيوت الدعارة والتي اسهمت في انتشار هذه الظاهرة، والتي اسفر عنها ولادة غلمان مجهولي النسب فكانت المرأة غالبا اما تقتل مولودها او تنسبه الى مسافر غائب، فهذه الممارسات التي شاعت داخل المدن ضلت تقبع داخل الظل، وعلى الرغم من الرقابة التي فرضتها السلطة ونبهت المجتمع من انتشارها الا انه لم يتقبل اي احد الانصراف عنها فقد راح بعضهم الى اتباع طريق اخر وهو زواج المتعة والدي اعتبره البعض كوسيلة للترويج ن وبعض الاخر لم تساعده الظروف الاقتصادية فانساق نحو هذا الطريق بغرض التكسب لا سيما نساء الاسرى والارامل واللاتي دفعتهن الظروف الى الزنا، فسبب تفاقم الفقر والحاجة واللواتي لم يساعفهم الحظ في ميراث لجأن الى هذا السلوك[2]

ظاهرة الفقر المدقع

كثيرا ما نجد في أي مجتمع هناك طبقات متفاوتة في درجة الغنا، وهناك طبقة لاحول لها ولا قوة، اذ غلب عليها الفقر الشديد وسوء الحال والتدبير فقد عانى جل الشعراء من هذه الظاهرة التي ارهقت

[1] رسالة التوابع والزوابع، بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، 1996 ص 120

[2] - الآفات الاجتماعية في الأندلس مابين القرنين الخامس والسادس، مذكرة تخرج للطالبة بن خيرة رقية، جامعة مصطفى إسطمبولي، معسكر، 2017

كتفهم، وحملوا وزرها طول حياتهم، فمنهم من تغير حالهم ومن هم من ظل على ذلك حتى وافته المنية، وفي هذا نجد الشاعر ابن حمديس الذي هجا سوء حاله وفقره، فصوره لنا تصويرا هزليا مليئا بالغضب والاحتقار فنظم هذه الابيات التي يقول فيها:

نومي على ظهر الفراش منغـــص والليـــل فيـــه زيـــادة لا تنقص

من عاديات كالذئاب تداءبـــت وسرت على عجـــل فما تتربص

جعلت دمي خمرا تداوم شربهـــا مسترخصات منهـــا لا يرضى

فترى البعوض مغنيـــا بربابـــة والبق تشرب والبراغث ترقص[1]

ففي هذه الأبيات نجد أن الشاعر قد صور معيشته بطابع هزلي وصور تشبيهية عناصرها بين حسية ومعنوية، والتي تتمثل بالحركة والإيحاء والتأثير[2]

ومن بين ظواهر الاجتماعية ظاهرة الحسد فلا يخلو أي مجتمع منها حتى نستطيع أن نقول إنها لا تفارق أي امة منها.

مظاهر الإصلاح

تحفل العدد من النصوص الادبية التي ذكرت بعض محاولة الحكام للإصلاح ما فسد داخل المجتمع الأندلسي، فقد راهنت الدولة على إصلاح الأوضاع كإزالة المنكرات، وإقامة الحدود وفق ما يتطلبه الامر النهي المنكر واقامة المعروف، وعليه فالمنطلق الذي يسلكونه ديني بشكل النسق الاصلاحي. وعليه فان اي عملية الاصلاح للمجتمع كان لابد ان تبدأ من حاكم اولا مرورا برعيته فصلاحه بصلاح مجتمعه ، بحيث وصفوه بقدوتهم، وعلى اعتبار ان السياسة عمل انساني لابد ان تخضع للتهذيب يتخللها الإصلاح في منظومتها، ووفق هذه المسلمة فالإصلاح لابد أن يبدأ من القاعدة

[1]- ديوان ابن حمديس

[2]- بنظر مذكرة تخرج بعنوان الآفات الاجتماعية في الأندلس مابين القرنين الخامس والسادس للطالبة بن خيرة رقية، جامعة معسكر

مرورا الى القمة، وعليه فان مترلة السلطان عند الرعية مترلة الروح بالجسد فاذا سلمت الروح من الكدر والسأم سلم الجسد وانتظم، واذا تخللها الفوضى والانحراف ساء الجسد وتهدم[1]

ويعد ابن الحزم من بين الادباء الذين باشروا بعملية الاصلاح، وتقديم الوعظ لهم، والمفسدين محاربين للعقيدة وساعين الى فساد الارض، فقد كان يرى انه من الواجب تقديم النصح من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعليه فقد سعى الهجاء الإصلاحي إلى نبذ الأمور المفسدة، والنهي من الاقتراب منها[2]، يتوجب على المجتمع أن يبدي ولاء ظاهريا في الأقل تجاه المثل التي ينادي بها، فإن حدث ذلك وضع الهجاء في موقع أكثر دقة، وقد يكون أكثر تأثيرا من موقع من يستجيب الرذيلة وحسب.

وقد نحس أن مثل هذا الإنسان يستحق الفضح، وفي هذا المجال يؤدي الهجاء عملا مفيدا اجتماعيا واخلاقيا وذا قيمة مفيدة.

وعليه أن نفرق بين الهجائي الكوميدي من جهة وبين الهجائي الساخر من جهة أخرى، فالسخرية لون من الهجاء لكن ثمة سخرية هجائية وثمة كوميديا ساخرة، ولكي نتذكر أن الهجاء ليس بحد ذاته شكل محضا منفردا، وثمة كوميديا وسخرية لا تتصف بالهجاء.

وقد كانت الغاية من الهجاء هي التكسب والمجنون.[3]

« ويعد الهجاء الاجتماعي من اسمى أنواع الهجاء غاية، وأكثرها وقعا على النفس وأبعدها أثرا على المجتمع ، لأنه كتب غالبا، من قبل طبقات المجتمع المتمثلة بشعرائها ، وقع عليهم الظلم والقمع واضطهاد سياسي من قبل السلطة الحاكمة، فكانوا بقصائدهم يمثلون نبض الشارع ولسان الناس الناطق بمظلوميتهم على نحو من الفدائية وقد كان الشعر في الأندلس الأكثر ذيوعا من أي جنس أدبي

[1]- ينظر الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة احمد هيكل ، ص 55 دار المعارف مصر

[2]- ينظر نفس المرجع السابق

[3]الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، أحمد هيكل ص 274.، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الحادية والعشرون

آخر، لأنه كان يمثل أهم مظاهر الحياة العقلية العربية في الأندلس[1] وقد ساهمت مجالس الأسس والبهجة في الوضوء الشعر واخصاب الصور الشعرية، وبها كان يحاول الشعراء إلقاء شعرهم بغرض تغيير الحال، واصلاح المجتمع من خلال ذكر بعض الصفات على وعي يلتف إليهم الأمراء، ونلمس تغييرا طفيفا ليس بالكثير في حال أهل الأندلس بعد جملة من الصراعات التي راح الشعراء يذمونها ويستنكروا هذه الأفعال التي اضرت بالمجتمع الأندلسي

صار ينظر إلى الهجاء الاصلاحي الإجتماعي في الأندلس في أحسن صوره كما ينظر إلى شرطي أخلاق، يدافع عن الأخيار والضعفاء في وجه الأشرار، يعني ذوي الميول الطيبة على طريق الفضيلة. لكنه ينذر أو يستحيل أن ينال من الأرذلين.

والهجاء بوصفه أداة علاج وتقويم يفسح المجال أمام الهجاء كونه أو وصفه عقوبة.

والهجاء مثل الواعظ. يريد أن يحث ويقنع لكن موقفه تجاه من يخاطبهم أكثر دقة وصعوبة من موقف الواعظ(2)

يريد الثاني بالدرجة الأولى أن يقبل سامعوه الفضيلة، في حين يجب على الأول أن يحم قراءه على الاتفاق معه في تبين وإدانة ما يعده معيبا في السلوك والناس. والكثير لا يريد أن يدان إن لم يكن لسبب.

فالهجاء يشبه المرآة، حيث يكشف الناظرون فيها وجه كل امرئ ممن عداهم، وفي ذلك يكمن الرئيس لذلك النوع من القبول الذي يلقاه وفي كونه لا يسيء إلاّ القلّة القليلة.

يكون الهجاء الاصلاحي دوما بالغ الوعي بالفرق بين واقع الأشياء، وبينما يجب أن تكون عليه، ويغلب أن يكون الهجاء شخص من الأقلية، لكنه لا يحتمل أن يكون منبوذا صراحة ، لكي يصيب نجاحا(3)

[1] الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف.ص417، دار المعارف، القاهرة

[2] - تلخيص من كتاب الأدب العربي في الأندلس ، تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه، علي محمد سلامة، دار العربية للموسوعات

[3] - ينظر أدب الفكاهة الأندلسي، حسن خريوش دراسات نقديو تطبيقية منشورات جامعة اليرموك مطابع الدستور عمان الأردن ص55

فهذا الاتجاه من الهجاء الاصلاحي كان يسعى الى الرغبة في التغيير والنهوض بالمجتمع الاندلسي ، فمعظم اشعار الشعراء قد كشفت المظاهر السلبية، فقد اتخذها الشعراء كوسيلة للتنفيس عما يعتمل في صدرهم من غضب واحتقار وألم، وحسرة عما الت اليه بلاد الاندلس ، فكان اتجاههم في شعرهم اجتماعي وطني وثورة على من بيده زمام الامور والقادر على تغيير الاحوال.

فالشاعر في الاندلس نجده يكابد في سبيل الرزق صعابا جمة ، فهو الذي كان يعبر عن مقاييس المجتمع، وبين حقد الفرد على المجتمع ، فنجده يتعرض للمجتمع بأكمله، فنجده في شعره يذم اهل زمانه، ويشكو من جهلهم وانحطاطهم ، وانغماس حكامهم في حياة الترف التي اعمت بصيرتهم.

فالشاعر يخاطب الإنسان الذي يظمأ فينهاه عنه ، كذلك يخاطب الحكام الذي اجاروا في حق الشعراء، وعدم اعتنائهم بالمجتمع وبحال الشعراء المزرية التي جفت قريحتهم من كثرة نبذ حالهم[1]

الغاية من الهجاء الاجتماعي الاصلاحي

النص الشعري كغيره من النصوص يحفل بالكثير من الاغراض التي تساعد في تمييزه عن باقي الفنون الاخرى وقد اخترنا غرض الهجاء الاجتماعي الاصلاحي الذي ساهم بشكل كبير وكاعتباره غرض فني عرف منذ القدم، كونه ساهم في تعديل ما أفسده الفاسدون ، وكاعتباره غرض قد لاقى نوعا ما من القبول لدى مستمعيه، والذي برع منظموه في اسلوبهم التعبيري ، من خلال اختيارهم الالفاظ المناسبة له، فقد حملت سخريتهم على عاتقها حمل الاصلاح الذي جاء بقالب هزلي، ولربما نقوم بالعتاب على شخص ما فإنما نود بذلك إصلاح ما فسد منه، لا السخرية منه طبعا، كذلك عمد الشعراء على ذلك[2].

فقد كان الهجاء الاجتماعي الاصلاحي ذا غاية تمثلت انه يقوم بعملية الوعي والوعظ، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وارضاه: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه ".فقد سخر

[1]- تلخيص من كتاب الأدب العربي مصطفى ناصف، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ص 229

[2]- ينظر من كتاب الادب الفكاهي ، عبد العزيز شرف، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، سنة 1992 ط 1 ص93

شعراء الهجاء الاصلاحي قرائحهم لخدمة انشغالات شعبهم ، فكانت كلمتهم مدوية ومسموعة ارهبت سامعيها.

فالهجاء الاجتماعي الاصلاحي كان يدعو دوما الى التربية والتعليم ونشر ثقافة الاصلاح، فكثيرا ما نلمح عقيدة الشاعر في قيته فقد استمدها من الدين ودعا الى التمسك به كونه يساند في نشر رو التعاون التي دعا بها الاسلام

ان الهجاء الاجتماعي الاصلاحي كان دوما ولازال في خدمة المجتمع في ضل غياب الرقابة التي تراعي شؤون الرعية فكان للهجاء الاصلاحي تأثير يهز النفوس[1]

فقد نلمح كثيرا من قصائد الهجاء التي تلح طويلا على العلم وتدعو الشعب الى التعلم والتثقف قد درء المفاسد والانشغال عنها فبغير العلم لا يتم الاصلاح، ووسط الصورة السياسية والاجتماعية التي كانت الاندلس تعيشها الا ان هناك بعض المدن قد حافظت على \مدارسها ومساجدها تتغذى بها روحيا وهو ما ناد به الشعراء للاقتداء بها.

وقد اتخذ الهجاء الاجتماعي الاصلاحي منحنيات دعت اليه الحاجة بغرض القضاء على بعض الآفات ، فالهجاء الاصلاحي فقد برز بشكل واضح نتيجة ارتقاء الفكر وسمو فروع المعرفة، ومنه برز بعض من الشعراء الذين كانت اشعارهم لا تكاد تخلو من الوعظ والارشاد والدعوة الى الخير والاصلاح[2]

فقد كانت اشعارهم تدور حول نقد المجتمع والكشف عن عيوبه والدعوة الى الاعمال الصالحة ولهذا نلمح بيت شعري للسميسر حيث قال:

[1]- ينظر الهجاء في الأدب الأندلسي فوزي عيسى ، دار المعارف ، القاهرة ص 165

خنتم فهنتم وكم اهنتم زمـــان كنتم بلا عيون

فانتـــم تحـــت كل تحت وانتـــم دون كل دون

سكنتـــم يا ريـــاح عاد وكل ريح الى سكون[1]

فالشاعر كان غير مرتاح لما يراه بعض من الوضاع التي كانت تجري امامه فشبههم بقوم عاد حيث سلط عليهم الله الذلة وعذاب عظيم تمثل فالريح الصرصر[2]

من خلال ما درسنا نلاحظ ان شعر الهجاء الاصلاحي الاندلسي كان قد ارتكز على الجانب التقويمي بغرض الاصلاح الاوضاع فقد كانت تنظم ابياته بشكل سهل ومنتظم واضح ليسهل وضعه من قبل الاخرين وليكون من وقعه على نفسه اشد ،وتتعلق معانيه بالأوضاع الاجتماعية ،وقد كانت تغلب على الهجاء الاجتماعي الاصلاحي صفة الانسانية يهدف الى المصلحة العامة ، وصوت هو صوت شعبه وتعلق معانيه بوصف الاخلاق التي يجب التحلي بها وإبدالها بالأخلاق السيئة التي تسيء اليهم والى صورة الاندلس[3]

وقد اتكأ شعراء الهجاء فالأندلس على آيات الذكر الحكيم فاقتبسوا الفاظها ومعانيها ووظفوها في اشعارهم بغية الاقناع وبلاغة المعنى.

وكانت الغاية من الهجاء الاصلاحي هو تقويم المجتمع ، والتعبير عن موقف الرفض لسلطة ولبعض الآفات المنتشرة ، وكان هذا النوع من الهجاء تعبير ذاتي لما عاشه بعض من بالشعراء جراء جور الحكام وفساد اخلاق مجتمعهم فدفعه الى ابتكار هذا الهجاء لنية الاصلاح، ولنية جعل المجتمع يتخلى عن بعض العادات السيئة التي كانت لا تنفعهم بل تضرهم وهم في غفلة من امرهم[4]

2-ديوان أبو قاسم السميسر قصيدة خنتم فهنتم وكم اهنتم

3-ينظر تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكرياء عناني ، دار المعرفة الجامعية، 1999م، ص 144

[3]- ينظر دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي ،محمد حسن قجة، ص123، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1958

[4]- تلخيص من كتاب في الادب الاندلسي ،جودت الركابي ، ص 45 ، دار المعارف ،طبعة القاهرة ،1980

قصائد في الهجاء الإصلاحي الاجتماعي في الأندلس للشاعرين يحي بن حكم الغزال وابن هانئ الأندلسي.

يقول الشاعر يحي بن الغزال في هجاء أفة التفاخر والتباهي التي انتشرت في وسط المجتمع الاندلسي

أرى اهل اليســـار اذا توفـــوا بنوا تلك المقـــابر بالصخور

أبـــــوا الا مباهـــاة وتفـــاخرا على الفقراء حـــتى فالقبـــور

فان يكـــن التفاضـــل في ذراها فان العدل فيهـــا فالقـــعور

رضيـــت بمـــن تأنق في بنـــاء فبالغ فيها تصريـــف الأمـــور

ألم يبصروا ما خـــربتـــه الـــــده ور من مدائـــن والقصـــور

لعمـــر ابيهـــــم لـــو أبصروا لما عرف الغنـــي والفقـــــير

ولا عرفوا العبيـــد من المـــوالي ولا عرفوا الاناث من الذكور

ولا من كان يلبس ثوب صوف من البدن المباشـــر للحريـــر

اذا اكل الثرى هـــذا وهـــــذا فما فضل الكبير على الحقير ؟[1]

من خلال هذه القصيدة وهذه الابيات الشعرية نلاحظ ان الشاعر قد استسخر من هذه الافة الاجتماعية التي اخذت نصيبا داخل المجتمع الاندلسي، حين فرق المجتمع الاندلسي بين الاحياء والاموات وبين الفقير والغني ، الا ان مساومتهم بين الغني والفقير باءت بالفشل لأن مصير الانسان الثرى.

[1]- ديوان يحي بن حكم الغزال قصيدة ارى اهل اليسار اذا توفوا

وكذلك نلاحظ ان الشاعر قد كشف عن المتناقضات داخل المجتمع الاندلسي، ولعل من ابرز هذه المتناقضات التفاوت الطبقي ن الذي زرع الفتن والحقد داخل المجتمع الأندلسي، فأنكره إنكارا شديدا لأنه يتنافى ما جاءت به الشريعة الإسلامية[1]

كما نلاحظ ان الشاعر قد استخدم المحسنات البديعية التي ساهمت في بناء القصيدة وابراز مظاهر التفاوت التي انتشرت داخل المجتمع الاندلسي ومن بينها نذكر: (الغنى، الفقر، العبيد ، الموالي، الاناث، الذكور، الصوف ، الحرير).

ومن بين المظاهر التي كانت منبوذة داخل المجتمع الاندلسي أفة الغيبة والنميمة وقد كانت معروفة منذ الأزل ، وقد حذرنا الله عز وجل من هذه الآفة حيث قال في محكم تنزيله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12) وقد ورد بعض من الأبيات الشعرية التي تنادي بالتخلي عن هذه العادة التي دمرت المجتمع الأندلسي حيث قال:

الناس خلق واحد متشـــابـــه لكنمـــــا تتخـــالف الاعمال

ويقال حق في الرجال وبـــاطل أي امرئ الا وفيـــــه مقال ؟

ولكل انسان بمـــا فـــي نفسه من عيبه عن غيره أشغـــــال

ورأيت السنة الرجال أفاعيـــا طورا تثور وتـــــارة تغتـــال

فاذا سلمت من المقالة غير مـــا تجني ، فأنت الأسعد المفضال [2]

[1]- بنية المشهد الحكائي في شعر يحي بن حكم الغزال ، د اسامة اختيار مجلة جامعة دمشق، ص99

[2]- ديوان يحي بن حكم الغزال، محمد رضوان داية، دار الفكر المعاصر

من خلال هذه القصيدة ننظر انها تعبر عن احوال المجتمع الاندلسي، فقد جاءت كتعبير عن الوجدان الفردي وما يحوم داخل المجتمع من خطايا وأباطيل، كذلك نلاحظ ان الشاعر قد استنفر ظاهرة التمييز العنصري، فالبشر كلهم سواسية فلا تفرقهم لا اللون ولا الدين ولا العرق.

كذلك وظف الشاعر المحسنات البديعية مثل التضاد في (تتشابه، تتخالف، الحق، الباطل) وهذا كي يمنح الشاعر نوعا من الانفعال[1]

كذلك نلحظ ان الشاعر قد دعا في قصيدة اخرى المجتمع الاندلسي الى التشبث بالقيم والى التفكير بانه هناك يوم يجتمع فيه المسرور والحزون، الغني والفقير وفي هذا المنوال قول:

من ظن أن الدهر لـــن يصيبه بالحادثـــات فانـــه مغرور

فالق الزمان مهونا لخطـــــوبه وانجر حيث يجرك المقـــدور

واذا تقلبت الامـــور ولم تدم فسواء المحزون والمسرور[2]

وهذا قد استنبط الشاعر هذه الابيات من قول النابغة الذبياني:

من يطلب الدهر تدركه مخالبه فالدر بالوتر ناج غير مطلوب[3]

فنلمس ان الشاعر قد ساوى بين الطبقتين وانه اذا شاء القدر لم يعرف المسرور والمحزون، ولا بين المتواضع والمغرور، وهذا ما يسمى بالعدالة الالهية ، التي لا تفرق بين انسان عن اخر الا بالتقوى، وهذا استدلال من الحديث النبوي حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا فرق بين عربي على عجمي، ولا ابيض على اسود الا بالتقوى"

[1]- تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني .زاهد علي مطبعة المعارف ،مصر، ص 66

[2]- ديوان يحي ين الحكم الغزال شرحه وحققه رضوان داية، دار الفكر المعارف

[3]- ديوان نابغة الذبياني تحقيق ابو الفضل ابراهيم دار المعارف

قصيدة:

يقول ابن هانئ الاندلسي في هجاء الوهراني:

طلب المجد من طريق السيوف شرف مؤنس لنفس الشريف

إن ذل العزيز أفضع مرأى بين عينيه لقاء الحدوف

ليس غير الهيجاء والضربة الأخد ود فيها وطعنة الإخطيف

انا من صارم وطرف جواد لست من قبة وقر منيف

ليس للمجد من يبيت على المج د بسعي وان نفس عزوف

وعدتني الدنيا كثيرا فلم اظف ر بغير المطال والتسويف

كلما قلب المحدد فيها اللحظ ولي بناظر مطروف

علمتني البيداء كيف ركوب الليل والليل كيف قطع التنوف

ان ايام دهرنا سخفات فهي اعوان كل وغد سخيف

ان دهرا سموت فيه علوا لوضيع الخطوب وغد الصروف

كاذب الزعم مستحيل المعاني فاسد النظم فاسد التأليف

نلت مانلت لا بعقل رصين في المساعي ولا براي حصيف

انت في دولة الحبيب الينا فترفق بالماجد الغضريف

فاذا مانعبت شر نعيب فعلى غير ربعة المألوف

ماعجيب بان لعبت بدهر نائم طرفه وخطب تريف[1]

[1]- ينظر ديوان ابن هانئ الأندلسي ، محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي، ، تح كرم البستاني ، ص 50، دار بيروت للنشر ، سنة 1980

تحليل قصيدة ابن هانئ الاندلسي

فالبيت الأول من قصيدة ابن هانئ الاندلسي نلاحظ انه لم يقتصر وظيفة السيف فالحرب فقط وانما ايضا في صنع الرفعة والمكانة لحامله، يقول لا تحسبنّ أنّ كمال الشرف أن تشتغل بشرب الخمر وسماع القيان فليس المجد إلا ضرب السيف وقتل الأعداء اغتيالا. والبكر من كلّ شيءٍ الذي لم يكن له مثلٌ سبقه ويعني بالفتك البكر التي لم يُفتَكْ مثلها. وهذا ما سبقه المتنبي حينما قال:

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتك البكر[1]

وقول الشاعر ابو تمام

السيف أصدق انباءا من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب[2]

أما في البيت الثاني فتزول شخص بعدما كان عزيزا وذا مكانة ورفعة يكون صعبا وموجعا لصاحبه وهذا ما دل عليه الشاعر في قوله (ذل العزيز أفضع مرأى)وقد جمع بين كلمتين متضادتين الذل والعزيز.

من خلال دراستي فقد راح ابن هانئ في هجاء الوهراني كاتب الامير جعفر بن علي بن حمدون الاندلسي ، واسمه احمد ويكنى بابي جعفر ، ويعرف بالوهراني نسبة الى وهران وهي مدينة في المغرب

من خلال هذه القصيدة نلاحظ ان ابن هانئ يمدح الوهراني تارة ثم يعود ليهجوه فيقول:

علمتني البيداء كيف ركوب الخيل والليل كيف قطع التنوف

وهو تناص مع ما قاله المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والضرب والطعن والقرطاس والقلم[3]

---

[1]- ينظر ديوان المتنبي قصيدة أطاعن خيلا من فوارسه الدهر

[2]- ينطر ديوان ابو تمام

[3]-مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مدح أهل الأندلس ، محمد علي شوايكة، مؤسسة الرسالة للنشر والطبع، بيروت، الطبعة الأولى 1983 ص 288

فمن خلال هذا البيت نلمح ان ابن هانئ قد وظف التناص بصورة واضحة اذ نسب لنفسه الشجاعة وفارسا مغوارا يواجه الصعاب وبرغم من البيداء وقفارها فقد واجهها تماما كما فعل المتنبي حينما راح يفتخر بنفسه الا ان المتنبي قد زاد عن ابن هانئ بحيث افتخر بعلمه وشعره اضافة الى افتخاره بنفسه.

وفي البيت العشر راح ابن هانئ يهجو الكاتب وسلطانه بحيث اشار الى ان مكانتهم قد صنعت من جراء ظلمهم وجورهم للرعية لا من خلال احترامهم وقد اشار الى ذلك في قوله (فاسد النظم فاسد التأليف)

كذلك اشار الى ان اعتلائه لكرسي خلافة لا يناسبه لأنه ليس في مكانه الصحيح.

اضافة الا ما أشرنا اليه فان ابن هانئ اخذ في تذكير الكاتب وسلطانه الى ضرورة العودة الى الدين الذي يحث على العدل والمساواة بين الرعية.

من خلال هذه القصيدة نلمح ان الشاعر ابن هانئ كان غير راض لما كان واقع في مجتمعه لأنه كان يعتبره ظلما وجورا بحق الناس التي لاحول لها امام نفوذ الحكام والموالي، فقد وردت هذه القصيدة الوحيدة في الهجاء كي يعبر عن الظلم، كون ابن هانئ كان مشهورا في فن المدح والغزل ، فلبرما كانت هاته قصيدة وحيدة فالهجاء الا انها حملت في طياتها معاني أيقظت في نفس سامعها انسانيته وفيها دعا الحكام الى ضرورة التمسك بالشريعة وما تنص عليه بالعدل والمساواة[1]

من خلال ما درسنا يتبين لنا أن الهجاء الاجتماعي في الأندلس كان ينظم بأسلوب بسيط وسهل كي يسهل فهمه من جهة وكي يكون وقعه على النفس المصغية له ، فقد اتخذه شعراء الأندلس كوسيلة للتعبير عن سخطهم واستحقارهم لما يعيشونه في ضل جور الحكام واستبدادهم.

[1]- ينظر كتاب تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ.زاهد علي.مطبعة المعارف ،مصر

فقد اتخذ الهجاء طابع السخرية بغرض الاصلاح لا بغرض الهدم، فكان هناك نوعين من الهجاء هجاء ساخر وهجاء الاصلاحي وكلاهما يصبوان نحو هدف واحد وهو خدمة المجتمع الذي كان ينادي بالإصلاح والتغيير.

وقد عرف عن الادب الاندلسي ادب متشعب المعاني، فقد عرف عن اهله صبوهم عن الشعر فابتكروا فنونا، سايرت واقعهم وخدمت مصالحهم وعكست بدقة نمط حياتهم، وكشفت مدى ارتباط علاقاتهم.

كذلك الفنون التي كتب فيها الاندلسيون كثيرة، كذلك هي الموضوعات التي تطرقوا اليها ، اذ هي متشعبة تشعب الحياة اليومية لسكان الاندلس.

اذ برز الهجاء الساخر كنوع من الاغراض التي اثارت المتعة في نفس السامع وأثارت الضحك اضافة كونه كان وسيلة ناجعة للتعبير عن الوضع المزري بطابع ساخر، يؤدي مهمة تغيير والاصلاح.

فكثر شعراء الهجاء وتعددت مواضيع التي تطرقوا اليها بغرض التكسب وبغرض الاضحاك وبغرض الاصلاح[1]

إن الهجاء الإصلاحي منطلق فكري إصلاحي ونمط سلوكي اتبعه بعض الشعراء وساروا نحوه، واتخذوه منهجا ساعدهم في إيصال ما كانوا يبغونه ، فقد ربطوا الشعر بالمجتمع ، بحيث تشكل الفكر الإصلاحي في أذهانهم، واستجاب لتطورات عصره، وشكل مظهرا من مظاهر الوعي الاجتماعي الأندلسي الذي كان يتخبط في ظلم وجور الحكام نحو رعيتهم، وعليه جاء هذا الغرض ليبحث عن الصلة والعلاقة بين الشعر والواقع الاجتماعي ، فقد تأثر الشعر الأندلسي بجملة من التغيرات التي سادت فالمجتمع.

1 تاريخ قضاة الأندلس ، الشيخ أبو الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان

وقد كانت الأحوال السياسية والاجتماعية عاملا أساسيا في نشأة فن الهجاء وعلى تقويته، فالثراء والمجون يقابله البؤس والحرمان، ثم الصراعات السياسية التي أدت إلى إزهاق الأرواح ، مما دفع الشعراء إلى سخطهم تجاه ما عايشوه من ذل وقتل وظلم.

تعددت أنماط بناء القصيدة الهجائية فجاءت إما على شكل مقطوعات او قصائد طوال لأنهم كانوا يخاطبون بها الحكام ، والطبقة العامة من الناس ، فيزيد سرعة التأثير فيهم مما يساعد على شيوع فن الهجاء ورواجه في سوق الأدب.

ومما يلاحظ في فن الهجاء تعدد أغراضه ومواضيعه فتارة يقوم الشاعر بنظم قصيدة فالهجاء السياسي وتارة يقوم بنظمها فالهجاء الاجتماعي وهذا بحسب ما يسايره في عصره، قد تميزت ألفاظه بالبساطة والسهولة، لأن لغته كانت خطابية مباشرة تهدف إلى التأثير في عقول الناس ونفوسهم.

كما اعتمد الشعراء في شعرهم على توظيف الأساليب الإنشائية كالاستفهام والنداء والتمني.[1]

يعد شعر الهجاء من ابرز المضامين الشعرية التي جسدت الواقع الاجتماعي لأهل الاندلس بحيث ابدع الشعراء في صقل قريحتهم والتعبير عن ما يجول داخل المجتمع الاندلسي ، اذ تكونت لديهم مشاعر انسانية تدعو الى التجديد والمناداة بالنهوض بالأندلس من تلك الصورة التي رسمها بعض المفسدين ونشروا بعض الآفات الفاسدة ، ويعنونون شعرهم بالدعوة الى التغيير ومناجاة الحكان بالرفق عليهم ، وهو دعوة الى الدفاع عن حقوقهم ونبذ ما ماشاع داخل المجتمع الاندلسي من الظلم والقتل والنهب والفقر ، وكان صوت الشعراء في هذا الموضوع صوت نابع من وجدانهم ومن وجدان مجتمعهم من استنفار واشمئزاز.

[1] - بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، أحمد بن يحي الضبي ، د، ط، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967، ص 255

الهجاء الاجتماعي الإصلاحي قد ربط حلقة وصل بين الأمة وواقعها ، فكان يدعو تارة الى تغيير حتى لا يضيع رسمه، وقد أدى الشاعر في هذا القصد واجبه في التنبيه والنداء، ودق ناقوس الخطر للحد من انتشار الفساد.

خاتمـــــة

بفضل من الله وحده ثم من ساعدونا في هذا البحث نقول: (بما أنّ لكل بداية نهاية قد وصل بنا المطاف إلى نهاية بحثنا والذي تناولنا فيه نمط ولون من ألوان الشعر العربي القح في حقبة من حقب الأمة العربية الا وهو" الهجاء الاجتماعي في الادب الاندلسي" حيث عرفناه تعريفا لغويا واصطلاحا كما وصل مفهوم الهجاء الاندلسي طبقا للتطور الحضاري المشهود انذاك. بيد أنّ لم يكن الهجاء مقتصرا بترعة فئوية أو شخصية بل تعداه للسياسة والإجتماع والثقافة وإختلفت وتعددت مواضعه. لقد إستطاع شعراء وادباء الأندلس أن يلجوا إلى مواضيع "بكر" في حياتهم وكان العامل في ذلك حياة أهل الاندلس التي ساعدت على كثرة تمظهراته المختلفة نظرا للأعراق...

وللعلم قد كثرت ميادين الهجاء في الاندلس فترحل بين الشعر والنثر والموشحات .

الهجاء ليس وليد العصر الاندلسي بل وجد منذ أن وجد الانسان بصور مختلفة بحكم أنّ هذا الفن نرتبط بالنفس البشرية وهو أسرع الأغراض إستجابة وتمير ف ي العصر الاندلسي بسهولة لألفاظه وبساطة تعبيره وبروز ملامحه خلال القصيدة. وما ساعد على بروز هذا الفن وبخاصة في البيئة الاندلسية محتصرا في الآتي:

-الإختلافات التي وصلت بين الفاتحين واهل الرقعة.

والغاية أنّهم وظفوا أقلامهم لتصليح ما أفسده المفسدون عن طريق "فن الهجاء "كالسخرية.

وقد تطرقنا فب بحثنا هذا لبعض النماذج من قصائد مختلفة للتدليل على ما كان يجري أيام الاندلسيين.

تعدد المحاور والموضوعات التي دار حولها الهجاء مما يدل على المامه بما يدور حوله سواء أكان سلبي أم ايجابي.

ونأمل في الختام أن هذه الدراسة قد أجابت ولو بشكل بسيط على الاشكالية التي تطرقنا إليها سابقا، بالرغم من مشكلة الوباء والتباعد والظروف الصعبة التي ألمت بنا إلى أننا أنجزناه بفض الله أولا ثم الأستاذ المشرف.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمرجع:

القرآن الكريم

الكتب

1.أبو الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس ،الشيخ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان.

2.ابو الحسن علي ابن بسام، الذخيرة وذكر محاسن أهل الجزيرة ، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ، مر ، المجلد الأول ، الطبعة 26

3.ابو الحسن علي ابن بسام، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، د،ط،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،1967،

4.أبو محمد ابن قتيبه، الشعر والشعراء، دار المعارف، سنة 1982.

5.احمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ،دار المعارف ،مصر

6.إرواني زاده عبد الغني لاخا، النقد الإجتماعي الساخر مجلة الأفاق الحضارة الإسلامية العدد 18 سنة

7.أسامة اختيار، بنية المشهد الحكائي في شعر يحي بن الحكم الغزال ، مجلة جامعة دمشق

8.انور سعد اسماعيل شلبي، دراسات ادبية في الشعر الاندلسي ، دار النشر القاهرة، دار النهضة مصر، 1973، ط1

9.جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف ، القاهرة، ط2 ، 1966

10. حسين خريوش، أدب الفكاهة الأندلسي دراسة نقدية تطبيقية ، مطابع الدستور التجارية ، عمان ، الأردن

11. زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ، مطبعة القاهرة ، القاهرة ، مصر

12. شمس الدين وافق زاده، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور.

13. عبدالحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ لمؤلف: دار النشر: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ج1 ص29 سنة النشر: 1397هـ - 1988 م.

14. علي محمد سلامة، الأدب العربي في الأندلس تطوره وموضوعاته وأشهر أعلامه ، دار المعرفة الجامعية ، 1999م

15. عمر إبراهيم توفيق، صور المجتمع الأندلسي سياسيا اجتماعيا ثقافيا، دار غيداء الاردن، ط1 سنة 2011

16. فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين دار اللواء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية ط 1، 2007،

17. فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار المعارف ، مصر، ط 1، سنة 2008

18. لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة في ذكر اخبار غرناطة، لجلد الاول تحقيق محمد غبد الله عنان دار المعارف بمصر 1955

19. مجمد رضوان داية، في الأدب الأندلسي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ن لبنان

20. محمد الكتاني الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح احسان عباس ن دار الثقافة، بيروت لبنان، سنة 2011

21. محمد رضوان داية، الأدب الأندلسي دار الفكر المعاصر، سنة 2009، ط3 مجلد1

22. المراكشي محي الدين ابو محمد عبد الواحد ابن علي التميمي، المعجب في تلخيص العرب، تحقيق ليدن.ط.1881

23. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب.

24. مكي الطاهر أحمد، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة أستاذ كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، دار المعارف سنة 1407،

25. نافع عبد الله ، كتاب الهجاء الاجتماعي في الشعر العربي الاندلسي كلية الادب جامعة بيرزيت ط1

دواوين:

1. ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تح عمر الفاروق الطباع،

2. ابن هاني، تبيين المعاني في شرح ديوان زاهد علي مطبعة المعارف ،مصر.

3. أبو قاسم السميسر، ديوان قصيدة خنتم فهنتم وكم اهنتم

4. المتنبي، ديوان قصيدة أطاعن خيلا من فوارسه الدهر

5. نابغة الذبياني، ديوان تحقيق ابو الفضل ابراهيم دار المعارف

6. يحي بن الحكم الغزال، ديوان.

القواميس:

1.إبراهيم أنيس منتصر، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ، معجم اللغة العربية، القاهرة، سنة 2004،

2.ابن منظور محمد بن مكرم بن علي جمال الدين، لسان العرب لابن منظور سم المعاجم والقواميس، دار المعارف.

3. محمد بن محمد عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الناشـــر، مطبعة الكويت، ط 2 جزء الثالث.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر

مقدمة ..... أ

مدخل: البيئة الأندلسية

البيئة الأندلسية..... 2

الحياة الإجتماعية..... 3

الحياة الثقافية 4

الحياة السياسية..... 4

تمظهرات الهجاء ودوافعه..... 5

دوافع الهجاء بالأندلس: 6

الفصل الأول: الهجاء الاجتماعي الساخر

1-الهجاء لغة واصطلاحا 9

2- تعريف السخرية لغة واصطلاحا 10

مفهوم الهجاء الاجتماعي الساخر 12

3- عوامل ظهور الهجاء الساخر الاجتماعي..... 13

4- الغاية من الهجاء الساخر 16

5-تحليل بعض مقاطع من قصيدة في الهجاء الإجتماعي الساخر وشرحه: 20

الفصل الثاني: الهجاء الاجتماعي الإصلاحي

الهجاء الاجتماعي الاصلاحي في الاندلس:..... 26
رصد بعض الظواهر الاجتماعية ومعالجتها 29
مظاهر الإصلاح 34
الغاية من الهجاء الاجتماعي الاصلاحي 37
تحليل قصيدة ابن هانئ الاندلسي 44
الخاتمة 50
قائمة المصادر والمراجع 52

فهرس المحتويات

ملخص:

من خلال ما تناولنا في هذه المذكرة الموسومة بـــ: الهجاء الاجتماعي في الأدب الأندلسي بين السخرية والإصلاح توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتي من بينها:

أن غرض الهجاء عرف منذ القدم وتعددت مواضيعه بين الاجتماعية والسياسية وخاصة نذكر الاجتماعية إذ كان يحاكي الواقع الأندلسي وما يسوده من بعض الظواهر.

ارتبط مفهوم الهجاء بالسخرية فأصبح لنا غرض يدعى بالهجاء الساخر وهو تناول موضوع ما بقالب ساخر يهدف إلى المتعة والترفيه عن النفس.

وأيضا ذكرنا بعض من شعر الشعراء فالأندلس تناولوا غرض الهجاء الساخر ليعبروا عما كان يستفزهم من بعض الظواهر الاجتماعية.

وقمنا برصد الهجاء الإصلاحي وهو غرض يهدف إلى التوعية والإرشاد عن طريق هجاء ظاهرة وما يترتب عنها من عواقب إن لم يتم معالجتها.

وأيضا ذكرنا بعض نماذج فيما يخص الهجاء الإصلاحي وقمنا بتحليلها.